سن ليكي إنيني

مَلْحَمَة جِلْجامِش

نَظْم وَترْميم وَتعْليق
جرجس ناصِيف

مَكتبَة لبْنان نَاشِرُون

هٰذا الكتاب

- تُشكِّل «مَلحمة جِلْجامش» الوافِدة مِن بِلاد الرّافِدَين رائعة فِكريَّة تُراثيَّة تَخطَّت المَحلِّيَّة إلى العالَميَّة، وتَركَت بَصماتها في حَضارات العالَم القَديم والحديث.
- تَدور أَحْداث المَلحمة حَوْلَ الملك السُّومَريّ «جِلْجامش» الذي عاش في الألف الثالث قَبْلَ الميلاد، وكانت عاصِمَتَهُ المَدينَةُ السُّومَريَّة أُوروك في وادي الرافِدَيْن.
- طَرَحَت مَلحمة جلجامِش جُملَةَ تَساؤلات عَن سِرّ الحياة، ولُغْز المَوْت، وتَوْق الإنسان إلى الخلود... إلى جانب الخَلْق، وشَجرة المعرفة، والطُّوفان...
- نَظَمَ الأُستاذ جرجس ناصيف هذه الملحمة شعرًا مَوْزونًا، مُحاوِلًا أَن يُعيد إليها ثَوبَها الشِّعْريَّ القَديمَ الذي وُضِعَت فيه باللُّغة الأَكاديَّة... وقد تَوخّى المحافَظَة على حرفيّة النَّصّ وروحه ما اسْتطاعَ إلى ذٰلك سبيلًا.
- ويَسرّ دار مكتبة لبنان ناشرون تقديم عمل تراثيّ بنَفَس مُعاصر... رَمْزَ تَواصل بين ماضٍ عَريق وحاضر نرجوه أَصيلًا.

مَلْحَمَةُ جِلْجَامِش

هُوَ الّذِي رَأى

تأليف الكاهِن البَابلي

سن ليكي إنيني

نَظْمُ وَترْمِيم وَتعْليق

جرجسُ ناصِيف

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
website: www.ldlp.com
e-mail: info@ldlp.com
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

طبعة أولى ١٩٩٢
طبعة ثانية منقحة ٢٠١٠
ISBN 978-9953-86-876-5
طبع في لبنان

توطئة

«هو الذي رأى» ملحمة بابليّة كتبها الكاهن البابلي «سن ليكي إنيني» الذي عاش حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد، ونصّه الأخير هذا كان نتاج عمليّة تطوّريّة طويلة بدأت مع بداية الفترة البابليّة القديمة، أي في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، على أيدي كتبة وشعراء كثيرين.

وأحداث الملحمة تدور حول الملك السومريّ الخامس «جلجامش» الذي عاش على أرجح التقديرات بين ٢٧٠٠ق.م و٢٥٠٠ق.م. وكانت عاصمته المدينة السومريّة أوررك في وادي الرافدين حيث تدور أحداث الملحمة. وهي الوركاء الحاليّة.

والملحمة مدهشة في سبقها لكلّ الملاحم التي عرفها الإنسان حتى اليوم، مدهشة فيما تطرح من أفكار، وفيما تحمل من أسئلة، مثل التساؤل عن سرّ الحياة ولغز الموت، ومثل التَّوق إلى الخلود، ثمّ الانكفاء عنه بيأسٍ من نيل الغبطة فيه لو حصل، بل على أنّه المللُ القاتل، مدهشة فيما تقدّم من معطيات تغني مَن يطلب الوقوف على الحضارة العامّة، والاتّجاهات الفكريّة والعقائديّة والعادات والتقاليد لحقبةٍ تاريخيّةٍ موغلةٍ في القدم، وهي مدهشة في أنّها تقدّم لنا سبقًا على أفكارٍ كنّا نظنُّ أنّها الأولى، من أمثال فكرة الخلق التوراتيّة، وآدم وحوّاء، وشجرة المعرفة، والطّوفان.... ثمّ هي مدهشةٌ في بنائها الفنّيّ.

وإنّي أقدّم هذه الملحمة شعرًا موزونًا ومقفّى محاولًا أن أعيد إليها ثوبها الشعريّ القديم الذي وضعت به في اللغة الأكدِيّة، علّني أَرُدُّ إليها جماليّة كانت لها في الشعر بعد أن ترجمت نثرًا ترجماتٍ كثيرة، صفتها التوثيقيّة أغلب من صفتها الفنّيّة، متوخّيًا المحافظة على حرفيّة النصّ وروحه ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

ثمّ إنّي أشير إلى أمرين هامّين في بنية هذه الملحمة:

١ - إنّ التكرار لبعض الأبيات، كما يلاحظ في مواقع مختلفة من الملحمة، إنّما هو في بنيتها الفنيّة الأولى، وربّما كان لأغراض تخدم الإنشاد الطقسي الذي كان ينهض به مغنّون ويرقص عليه راقصون في احتفالاتٍ طقسيّةٍ مقرّرة عندهم.

٢ - إنّ في الملحمة خللًا جاءها من تلفٍ أصاب الألواح التي كُتِبَتْ عليها، فعمدت إلى رتق هذه الفتوق بما اعتمده بعض المترجمين من نصوص اكتشفت على كسرٍ لوحيّة هنا أو هناك؛ أو لا فباجتهادٍ منّي اعتمادًا على سياق الملحمة وروح العصر وبعض الإشارات التي أوحى بها بعض الدارسين؛ فعلت هذا لتأتي الملحمة بناءً فنيًّا متكاملًا ومتماسكًا.

وقد أشرت إلى ما سددت به الرتوق بمعقوفتين [ ] وضعت اجتهادي بينهما، وقد بلغ حوالى / ٣٧٥ بيتًا من أصل / ٢٠٠٠ / بيت بلغتهما الملحمة.

والملحمة هذه واحدة من أنفس المكتشفات التي عثر عليها بين أنقاض مكتبة «أشّور بانيبال» (٦٦٨-٦٤٦ق.م) التي تضمّ ٢٥ ألف لوحة مسماريّة في عاصمة ملكه «نينوى» التي ما تزال أطلالها قائمة في العراق على تلّ «قويونجيق» تجاه الموصل الحاليّة.

جرجس ناصيف

ملاحظات

١ – تقسيم الملحمة إلى فصول، وعنونة هذه الفصول من عمل الناظم تسهيلًا على المطالع وليست في أصلها، ولذلك نرى القافية الواحدة تستمرّ أحيانًا من فصل إلى آخر.

٢ – بنيت الملحمة على البحر الكامل فجزّأتُ وشطّرت تاركًا نفسي على سجيّتها ولم أخرج عن هذا إلّا قليلًا إلى الوافر، وأقلّ إلى الرمل وكلّ ذلك دون افتعال، فالإيقاع العروضي (يُسَلْطِنُ) كما يقول الموسيقيّون فلا أحاول العدولَ عنه، وربّما كان هذا الاستمرار الغالب على بحر واحد، وهو الكامل، أسلم لانسجام القارئ كما كان الأسلم لانسجام النّاظم. وقد نوّعت بين القوافي من دون أن أجعل لذلك ميزانًا أو مقياسًا يقيّدني؛ فأحيانًا تطول المقطوعة على القافية الواحدة حتى تصبح قصيدة، وأحيانًا تقصر حتى لا تتجاوز بيتين.

٣ – قد تصرّفت بعض التصرّف في أسماء الأعلام لتسهيل النظم، وإليكم ذلك:

جلجامش: جلجامي، جلجامِ، جلامش، جلجاميش.

إنكيدو: إنكيدُ، إنكي.

أوتنابشتيم: تنابشتيم، تناشتيم، أوتناشتيم، أتناشتيم.

أورشنابي: أوشنابي، أورشنابِ.

أوروك: أورك، أروك، أرك.

حواوا: حواوَ.

خمبابا: خمبابَ.

إيَا: إيّا.

سيليلي: سيليلِ.

سيدوري: سيدورِ.

إيشولانو: إيشو.

آنو: آن (وهو الاسم السومري لهذا الإله).

إيانا: إيانَ.

آرورو: آرورُ، أرورو.

مَلْحَمَة جِلْجَامِش

هُوَ الَّذي رَأى

مَن هو[1]؟

ذاك الذي شَهِدَ الدُّنا   بتخومِها، وتمكَّنا
ذاك الذي عَرَفَ الحقا   ئقَ سِرَّها والمُغْلَنا
هُوَ سيِّدٌ في الحكمةِ الـ   كبرى السيادةَ أَتْقَنا
عَرَفَ المخابئَ جُلَّها،   والسِّرُّ صارَ مُبَيَّنَا
وارتادَ أسرارَ الأوا   ئلِ هاديًا ومُلَقِّنا
سَفَرٌ طويلٌ عُمْرُهُ   حَمَلَ المتاعبَ والضَّنى
وسجلٌّ أسفارٍ لهُ   حُفِرَتْ بألواحِ البِنا[2]
أسوارَ «أُوروكَ» المنيـ   ـعةِ عالياتٍ قد بَنَى[3]
«لإيانَ» قد رَفَعَ البنا   ءَ، وعَنْبَرًا قد زَيَّنا[4]..

انظُرَ، تأمَّلْ، فالجدا   رُ مُوَهَّجٌ مثلَ النُّحاسْ
وإذا دخلْتَ فلا شبيـ   ـهَ - إذا نظرْتَ - بهِ يُقاسْ
هل تلمُسُ العَتَباتِ أر   ساها الزّمانُ على أساسْ؟

---

(١) جلجامش: هو بطل الملحمة الأسطورة، وفي التاريخ الملك السومري الخامس عاش بين ٢٧٠٠-٢٥٠٠ ق.م.

(٢) ألواح البنا: إشارة إلى ألواح الآجر التي كتبت عليها الملحمة.

(٣) أوروك: مدينة عاصمة الملك جلجامش، واسمها في التّوراة (إرك)، وهي الوركاء الحديثة جنوب بابل.

(٤) إيانا: حرم المعبد في أوروك المكرّس لكبير الآلهة آنو وللإلهة عشتار.

ومُــقــامُ «عــشــتــارٍ» «إيــا نــا» اقْـرَبْ إلـيـهِ تـنـلْ مُـنـى[١]
عـجَـزَ الـمـلـوكُ فـلـن يـصـيـ ـرَ لـمِـثـلِـهِ مَـلِـكٌ هُـنـا
وعـلـى دروبِ الـسّـور فـي «أوروكَ» إمـشِ الـهـيِّـنـا
أُلْـمُـسْ قـواعـدَهُ، تَـفَـحَّ ـصْ صَـنْـعَـةَ الآجُـرِّ فـيـهِ[٢]
لَـبِـنـاتُـهُ شُـوِيَـتْ بـنـا رٍ كـي يُـخَـلَّـدَ كـي تَـقـيـهِ
و«الـسَّـبْـعَـةُ الـحـكـمـاءُ» أَرْ سَـوا أُسَّـهُ صُـلْـبًـا شـديـدا[٣]
خَـطُّـوا الـمـديـنـةَ خِـطّـةً كـانَـتْ لـهـا فـنًّـا جـديـدا

هـذي بـسـاتـيـنٌ وتـلـ ـكَ مـروجُـهـا تـجـلـو الـعـيـونْ
ذا الـمـعـبـدُ الـسَّـاجـي لـعـشـ ـتـارٍ، وذا مَـجْـلَـى الـفـتـونْ
وبـيـوتُ «أوروكَ» الـجـمـيـ ـلـةُ فـوقَ مـا تـرجـو الـظُّـنـونْ
هـيّـا إلـى الـصُّـنْـدوقِ فُـ ـضَّ نُـحـاسَـهُ واحـلُـلْ رِتـاجَـهْ
واكـشِـفْ عـن الأسـرارِ سُـدَّ تَـهُ، ولا تُـبْـطِـئْ عِـلاجَـهْ

وافْـضُـضْ رَقـيـمًـا لازُوَرْ دِيًّـا بـهِ الـنَّـبَـأُ الـصّـوابْ
واقـرأْ بـصـوتٍ واضـحٍ عـالٍ عـنِ الـبـطـلِ الـخـطـابْ:
«جـلـجـامـشُ» الـفـذُّ الّـذي ذَلَّـتْ لـهُ كـلُّ الـصِّـعـاب
فـاقَ الـمـلـوكَ بـبـأسِـهِ وَحَـكَـتْ حـكـايـتَـهُ الـرِّكـابْ

(١) عشتار: إلهة الطبيعة والخصب والحبّ والجمال، وأحيانًا إلهة الحرب.
(٢) قواعده: قواعد السُّور، سور أوروك.
(٣) السبعة الحكماء: هم حكماء أسطوريّون، عاشوا قبل الطوفان، وتلك فترة العصر الذهبي بالنسبة للبابليين والسومريين، وقد أسّس الحكماء السبعة أهمّ المدن وأداروا البلاد بعلمهم وعقلهم وحكمتهم.

جـسـمٌ مـتـيـنٌ، نـجـلُ «أو روكٍ» هـو الـثّـورُ الـرُّهـابْ[١]
إنْ سـارَ يـتـبـعُـهُ الـجـنـو دُ فـقـائـدٌ فَـذٌّ مُـجـابْ
أو سـارَ مـن خـلـفِ الـجـنـو دِ فـحـارسٌ فَـطِـنٌ مُـهـاب
هُـوَ صـخـرةٌ جـبّـارةٌ حِـصْـنٌ يـقـي كـلَّ الـصِّـحـابْ
مَـوْجٌ عَـتِـيٌّ جـاشَ والـ أسـوارُ مـنْ بـعـضِ الـحُـبـابْ[٢]
«لـوجـالَ بـنـدا» أصـلُـه، فـأتـى قـويًّـا كـالـهـضـابْ[٣]
والأمُّ «نَـنْـسـونُ» الـمَـهـيـ بَـةُ، فـارتـدى رُهـبـى الـثّـيـابْ[٤]
لـيـسَ الـجـبـالُ تـروعُـهُ فَـتَـحَ الـدّروبَ بـهـا وجـابْ
وبـسـفْـحِـهـا لـلـشَّـرْبِ قـد نَـقَـبَ الـرَّكـايـا والـجـبـابْ[٥]

عَـبَـرَ الـمـحـيـطَ لـكـي يـنـا لَ الـشَّـمْـسَ فـي الـرَّحِـمِ الـقـديـمْ
وارتـادَ أصـقـاعَ الـدُّنـا بـحـثًـا عـنِ الـسِّـرِّ الـعـظـيـمْ
سـرِّ الـحـيـاةِ ومـاتُـوا ري مـن مـجـاهـيـلِ الـعـلـومْ
شـقَّ الـطّـريـقَ بـهـمّـةٍ عـلـيـاءَ كـي يـجـلُـو الـبَـهـيـمْ
شـقَّ الـطّـريـقَ بِـهـمّـةٍ كـي يَـلْـتَـقـيـهِ «تَـنـاشَـتِـيـم»[٦]

ذاكَ الّـذي بَـعَـثَ الـحـيـا ةَ وقـدْ قَـضَـتْ تـحـتَ الـبـحُـور[٧]

(١) الثور: من رموز الآلهة البابليّة يُستخدم لإظهار القوّة الكبرى.
(٢) الحُباب: الفقاقيع التي تعلو الماء.
(٣) لوجال بندا: ملك أو إله وهو الوالد الطبيعيّ أو الروحيّ لجلجامش على ما تزعم أساطير مختلفة.
(٤) ننسون: اسم لإلهة ثانويّة، قالوا هي أم جلجامش وزوجة لوجال بندا.
(٥) الركايا جمع ركيّة، والجباب جمع جب: وهي أنواع من الآبار. والشَّرْب: الشاربون.
(٦) تناشتيم: اختصار للاسم البابلي «أوتنابشتيم» وهو بطل أسطورة الطوفان البابلي ونظير «نوح» بطل أسطورة الطوفان التوراتي.
(٧) قضت تحت البحور: إشارة إلى الطوفان البابلي الذي قضى على الحياة فأنقذها أوتنابشتيم.

وأعـــاد لـــلـــدّنـــيـــا أُنـــاسًـــا يَـــعـــمـــرُونَـــهـــا لا تـــبُـــورْ

مـــا مِـــثـــلُـــهُ مَـــلِـــكٌ يـــســـو دُ بـــأيِّ أرضٍ أو مـــكـــانْ[1]
مـــــا كـــــانَ إلّاهُ يـــــنـــــا لُ الـــمُـــلْـــكَ حَـــقًّـــا فـــي الـــزّمـــانْ
«جِـــلـــجـــامِـــشٌ» هـــذا اســـمُـــهُ قـــد كـــانَ ذَلـــكَ حـــيـــنَ كـــانْ

خلق إنكيدو

فـي الـثُّـلـثِ إنـسـانٌ وثـلـ ثـاهُ إلـهٌ لا نَـظـيـرْ[1]
فـي الـهـيـئـة الـمُـثْـلـى لـهُ عَـبـرَ الـمـدى عَـبـرَ الـدُّهـورْ
والـرَّأسُ مـرفـوعٌ كـمـا الـثَّـوْرُ الـعـتـيُّ، هـو الـقـديـرْ
وسِـلاحُـهُ لا يَـرْتَـدي هِ بـبـأسِـهِ بَـطَـلٌ مَـريـر
وعـلـى ضـجـيـجِ طُـبـولِـهِ يَـسْـتـيـقِـظُ الـشَّـعـبُ الأسـيـرْ
ضـجُّـوا، وثـارُوا فـي الـبـيـوتِ عـلـى الـمـظـالـمِ والـنـذيـرْ[2]:

«جـلـجـامـشٌ لا يَـتْـرُكُ ابْـنًـا لـلأب الـحَـدِبِ الـرّحـيـمْ
والـظُّـلـمَ مـقـتـرفٌ عـلـى مـرِّ الـلـيـالـي مـا يُـقِـيـمْ
لـكـنَّـهُ الـرَّاعـي، لـ «أورُوكْ» الـمـمـنَّـعَـةِ، الـوسـيـمْ
بـل إنّـهُ الـرّاعـي الـقـويُّ، وفـي سَـجـايـاهُ الـحـكـيـمْ

يَـطَـأُ الـبـنـاتِ فـلا تَـظَـلُّ عـفـيـفـةً بِـكْـرٌ حَـصَـانْ
ويـنـالُ مِـنْ كُـلِّ الـعـرائـسِ مـا يـشـاءُ وبـالـسِّـنـانْ»

أصـغـى لـشـكـوى الـظُّـلـمِ مـن أهـلِ الـمَـرارةِ والـهـوانْ

---

(١) الكلام ما زال في وصف جلجامش امتدادًا للفصل السّابق.
(٢) ما يأتي من أبيات بين المزدوجتين هو شكوى شعب أوروك من مظالم جلجامش.

أهلُ السَّماءِ فكلّموا ربَّ المدينةِ باتّزان(١):

«آرورُ» قَدْ خَلَقَتْ لَهُمْ ثورًا يُباشِرُ ما يُريدْ(٢)
وسلاحُهُ لا يَرْتَدي هِ ببأسِهِ بَطَلٌ عنيد
وعلى ضجيجِ طُبولِهِ يستيقظُ الشَّعبُ العبيدْ

«جلجامشٌ» لا يتركُ ابْ نًا للأبِ الحَدِبِ الرّحيمْ
والظُّلمَ مُقْتَرِفٌ على مرِّ الليالي ما يُقيمْ
لكنَّهُ الرّاعي لـ «أور وكَ» الممنّعةِ، الوسيم
يرعى ويظلمُ لا يكـ فُّ ولا يَمَلُّ ولا يَريم
بل إنّه الراعي القو يُّ وفي سجاياه الحكيمْ

يطأ البناتِ فلا تظ لُّ عفيفةً بكرٌ حَصان
وينال من كلّ العرا ئس ما يشاء وبالسّنان

سمع الإلهُ شكاتَهم متألّمينَ مكرِّرينْ(٣)
فَدَعَوا جميعًا قدسَ «آ رورو» العظيمةِ قائلين:

«جلجامشٌ» هذا خلقْ تِ، فهل خلقتِ له عديلا؟

---

(١) أهل السماء: الآلهة، رب المدينة: آنو.

(٢) آرورو: الإلهة الأم، وأوّل معبودات الإنسان، من أسمائها في بلاد الرافدين (نَنْماخ) و(نَنْخَرْساج) و(مامي) و(نَنْتو)، وهي ربّة الخلق والولادة وصانعة الجنس البشري، وهي التي خلقت إنكيدو من طين.

(٣) الإله هنا هو (آنو) كبير الآلهة وإله أوروك.

فــي ضــجّــةِ الــقــلــبِ الــجــري ء، وهــل جــعــلْــتِ لــه مــثــيــلا؟
كــي يُــشْــغَــلا، يَــتَــنــافــســا و«أوروكُ» تــخــلــو، لا ذلــيــلا

ســمــعَــتْ «أرورو» قــولــهــم وتــمــثَّــلــتْ رســمَ الإلــهْ[1]
«آنــو» الــعــظــيــمِ وغــاصَ كــفّــ ـاهــا لــطُــهــرٍ بــالــمــيــاه
وبــكــفــهــا قــد جــمّــعَــتْ طــيــنــا وألــقَــتْ فــي الــفــلاه

فــإذا بــإنــكــيــدو الــعــظــيـ ـمِ يــعــيــشُ فــي جــوفِ الــخــلاءْ
مــن نَــسْــلِ «نــانــورتــا» إلــ ـهِ الــحــربِ أو ربِّ الــهــواء[2]
يــكــســوهُ شــعــرٌ مُــسْــدَلٌ وبــرأســهِ شــعْــرُ الــنِّــســاء
يــنــســابُ مــثــلَ ســنــابــلٍ قــمــحًــا تــدلَّــتْ فــي الــفــضــاء

مــتــوحِّــشٌ ولــبــاسُــهُ مــن صُــنْــعِ «ســامــوقــانْ»[3]
يــرعــى الــحــشــيــشَ كــأنَّــهُ بــعــضٌ مــنَ الــغِــزْلان
يــرد الــمــنــاهــل ظــامــئًــا يــرعــى مــع الــقُــطْــعــان
ومــعَ الــبــهــيــمــةِ قــلــبُــهُ إذ يــرتــوي نَــشــوان

وهــنــاكَ يــومًــا نــاصــبُ الــ ـأشــراكِ صــيّــادٌ رآهْ
وجــهًــا لــوجــهٍ عــنــدَ مــا ءٍ يــبــتــغــي مــنــهُ نــداه

---

(١) أرورو: اختصار آرورو.
(٢) نانورتا أو نينورتا: إله الحرب والهواء وفيما بعد إله الحيوانات، وهو إله الخصوبة والريّ، واسمه قديمًا نينجرسو.
(٣) ساموقان: إله الماشية والرعي، والمقصود أنّ إنكيدو كان يلبس ثيابًا من جلود الحيوان.

وبــــدا لــــيـــومٍ ثـــالـــثٍ إذ كـــانَ ثـــالـــثـــةً يَـــرِدْ
لــمّــا بــدا امــتــقــعَــتْ مــلا مــحُــهُ امــتــقــاعَ الــمــرتــعِــد
ومــضــى لــمــســكــنِــهِ بــمــا قــد صــادَ مُــلــتــاعَ الــكــبِــد

وعــلــى مــحــيّــاهُ اكــتــئــا بٌ، يــسكُــنُ الــقــلــبَ اضــطــرابْ
يــمــشــي كــمــشــيــةِ مُــدنَــفٍ قــد عــادَ مــن سَــفَــرِ الــعــذاب

إنكيدو

- ١ -

المؤامرة

فَتَحَ الفتى الصّيّادُ فا هُ مرددًا هذا المقالْ :
«أبتي! لأرضِك قد أتى رجلٌ فريدٌ لا يُنالْ
أقوى من الفَلَواتِ بأ سًا لا يَهابُ ولا يُطالْ
كشهابِ «آنو» الثّاقبِ الـ ـعَزَماتِ يهوي في الجبال
دومًا تراهُ مالئًا بطوافِهِ أرجاءَ أرضِكْ
دومًا تراهُ آكلًا والبهمَ مِن أعشابِ غَيْطِكْ
دومًا تراهُ آخذًا للماءِ مَسْلَكَهُ بدربِك

قد كنْتُ منهُ خائفًا لم أجترئْ مِنْهُ اقترابا
حُفَري التي كانَتْ لصيـ ـدٍ هدَّها هذا اغتصابا
ومصايِدي خَرِبَتْ وصا رتْ في أناملِهِ يَبابا
وبعونِهِ فرّتْ طرا ئدُ كنتُ أبغيها طِلابا
ضاعَتْ جميعًا من يديَّ، فيا لها..! أمستْ سَرابا»
وأبو الفتى فَهِمَ الكلا مَ، وقالَ خُذْ منّي الجَوابا :

«أَبُنَيَّ! في «أوروكَ» «جلـ ـجامي» يُقيمُ فلا يَريمْ[1]

---

(١) جلجامي: اختصار جلجامش.

مـــا بـــزَّهُ بَـــطَـــلٌ عـــنـــيـــ دٌ، لا ولا رجـــلٌ حـــكـــيـــم

رجــــلٌ قـــــويٌّ عــــزمُـــــهُ كــشــهــابِ «آنــو» الــثــاقــبِ
فـــاذهـــبْ ويَـــمِّـــمْ وجـــهَـــهُ واخــبــرْهُ - تــلــك رغــائــبــي -
خَــبَــرَ الــفــتــى الــجــبّــار ذا كَ الــمــســتــهــيــنِ الــعــازبِ(١)

وَلْــيُــعْــطِــيَــنَّــكَ مَــرْأَةً لِــلْــحُــبِّ تــصْــحَــبُــهــا مــعَــكْ
مِــنْ كــاهــنــاتِ الــحــبِّ تــكْــ ســِرُ بــالأنــوثــةِ مــا امــتــلَــكْ(٢)

وإذا الــفــتــى وَرَدَ الــمــيــا هَ وصَــحْــبَــهُ كــي يــســتــقــيــهــا
نَــضَــتِ الــثّــيــابَ، تَــبَــرَّجَــتْ فــي فِــتــنــةٍ يــعــنــو لَــدَيْــهــا
وإذا رآهـــا هـــكـــذا لا بـــدَّ مـــقـــتـــربٌ إلـــيـــهـــا
فــتَــفِــرُّ مــنــهُ فــي الــفــيــا فــي عُــصــبــةٌ يــحــنــو عــلــيــهــا»

ولــنــصــحِ والــدهِ اســتــجــا بَ مُــيَــمِّــمًــا شــطــرَ الــبــطَــلْ
شـــدّ الـــرّحـــالَ وحـــطَّ فـــي «أوروك» ذيّـــاكَ الـــرّجُـــلْ
وأمـــامَ «جــلــجــامــي» ســفــيـــ ـرًا عـــن أبـــيـــهِ قـــد مَـــثَـــلْ:
«رجـــلٌ فـــريـــدٌ هـــابـــطٌ لأبـــي أراضـــيَ لـــم تُـــنَـــلِ(٣)
أقـــوى مـــن الـــفـــلـــواتِ بـــأ سًـــا لا يـــهـــابُ ولـــم يُـــطَـــلْ
كــشــهــابِ «آنــو» الــثّــاقِــبِ الــ ـعــزَمــاتِ يــهــوي فــي الــجــبَــلْ

(١) العازب: هنا البعيد عن الأرض العمار.
(٢) ما امتلك: أي من قوّة وجبروت.
(٣) لم تُنَلْ: لم يستطع أحد أن يطأها لحماية أبيهِ لها.

دومًـــا تـــراهُ مـــالـــئًـــا   بـــطـــوافِـــهِ أرجـــاءَ أرضِـــهْ
دومًـــــا تـــــراهُ آكــــــلًا   والـبَـهـمَ مـن أعـشـابِ غَـيـطِـهْ
دومًـــــا تـــــراهُ آخــــــذًا   لـلـمـاءِ مـسـلـكَـهُ بـدربِـهْ

قــد كـنـتُ مـنـهُ خـائـفًـا   لـم أجـتـرئْ مـنـهُ اقـتـرابـا
حُـفَـري الـتـي كـانـت لـصيـ   ـدٍ هـدَّهـا هـذا اغـتـصـابـا
ومـصـايـدي خـرِبَـتْ وصـا   رَتْ فـي أصـابـعِـهِ يَـبـابـا
وبـعـونِـهِ فـرَّتْ طـرا   ئِـدُ كـنْـتُ أبـغـيـهـا طِـلابـا
ضـاعـت جـمـيـعًـا مـن يـديَّ،   فـيـا لـهـا..! أمْـسَـتْ سَـرابـا»

«جلـجامشٌ» - قال - العظيـ   ـمُ الـرّاجِـحُ الـعـقـلِ الـمَـلِـكْ:
«يـا أيّـهـا الـصـيّـادُ يـا   هـذا الـفـتـى خُـذْهـا مَـعَـكْ
مـن كـاهـنـاتِ الـحـبِّ تـكـ   ـسِـرُ بـالأنـوثـةِ مـا امـتـلَـكْ

وإذا الـفـتـى وَرَدَ الـمـيـا   هَ وصـحـبَـهُ كـي يـسـتـقـيـهـا
نـضَـتِ الـثّـيـابَ، تَـبَـرَّجَـتْ   فـي فِـتـنـةٍ يـعـنـو لَـدَيْـهـا
وإذا رآهـــا هـــكـــذا   لا بـــدَّ مـقـتـربٌ إلـيـهـا
فـتـفِـرُّ مـنـهُ فـي الـفـيـا   فـي عُـصـبـةٌ يـحـنـو عـلـيـهـا»

وَمَـضـى الـفـتـى الـصَّـيّـا   دُ وامـرأةً يُـسـيِّـرهـا مَـعَـهْ
شـدّا الـرِّحـالَ يـواظـبـا   نِ الـسَّـيْـرَ شـدًّا أو دَعَـهْ
حـتّـى إذا بـلـغـا الـمـكـا   نَ وكـانَ ذلـك مـوضـعَـهْ[1]

---

(١) موضعه: أي موضع إنكيدو.

قَــبَــعــا لأيّــامٍ هــنــا   لــكَ يــرقُــبــانِ جِــوارَ مــاءْ
فــتــواردَتْ تــلــكَ الــسّــوا   مُ لِــمَــنْــهَــلٍ تــبــغــي اســتــقــاءْ

إنكيدو

- ٢ -

التأنيس

وردَتْ بـنـاتُ الـبـرِّ تـشـ ـرَبُ من صفا الـغُـدرانْ
هـوَ ذاك «إنـكـيـدو» الـفـتـى نِـعْـمَ الـفـتـى الـجـذلانْ
هـوَذا الـذي يـرعـى الـحشيـ ـشَ بـصُحـبـةِ الـغِـزلانْ
يَـرِدُ الـمـنـاهـلَ ظـامـئًـا يـمـشـي معَ الـقُـطْـعـانْ
ومـعَ الـبـهـائـمِ قَـلْـبُـهُ إذ يـرتـوي نـشـوان
ورفـيـقـةُ الـصـيّـادِ قـدْ رأتِ الـفـتـى وَحْشًا جـلـيـلا
رَجُـلَ الـبـداءةِ آتـيًـا من رِحلةِ الصَّحرا، أصيلا
«هُـوذا - فـتـاتـي! - حـرّري الـنْـ ـنَـهْـدَيـنِ تـحـريـرًا جـمـيـلا
ودعـيـهِ يَـقْـطِـفْ من ثـمـا رِهـمـا وكـونـي لا خـجـولا

وخـذي إلـيـكِ الـدِّفْءَ مـنْ رَجُـلٍ تَـشَـهَّـاهُ الـنِّـسـاءْ
وإذا رآكِ فـشَـهْـوَةٌ حـرّى تـلـظّـى فـي الـدِّمـاء
ارمـي الـثـيـابَ يَـمِـلْ عـلـيـكِ فـعـلّـمـيـهْ
كـيـفَ الـنّـسـاءُ تُـنـالُ تـغـدو فـي يَـدَيـهْ
وإذا فـعـلْـتِ تَـفَـرَّقَـتْ عـنـهُ الـطّـرائـدُ إذ رأَتْ
مـا كـنـتِ أنـتِ تـمـارسـينَ عـلـى يَـدَيـهْ»[(١)]

---

(١) الأبيات بين المزدوجتين من كلام الصيّاد إلى كاهنة الحبّ.

هــذي الــمــلــيــحــةُ حــرَّرَتْ حُــقِّــيــنِ مــن قــيــدِ الــثّــيــابْ
فــتــنــاولَ الــثَّــمَــرَ الــشّــهــيَّ كــمــا تــشــهّــاهُ الــشّــبــابْ
لــم تــخــجــلِ الأنــثــى وقــا لَــتْ: «دِفْــؤُهُ فــيــهِ الــرِّغــابْ»
رَمَــتِ الــمــلابــسَ فــانــحــنــى شــوقَ الــسُّــؤالِ إلــى الــجــوابْ

لــبَّــتْ، وعــلَّــمــتِ الــفــتــى كــيــفَ الأنــوثــةُ تُــؤتَــتَــى
فــإذا الــفــتــى فــي حــبِّــهــا مــاضٍ ولــكــنْ قــد عــتــا
ســتًّــا وســبــعًــا فــي الــهــوى[1]
حــتّــى ارتــوى أو مــا ارتــوى
تَــرَكَ الــمــلــيــحــةَ عــائــدًا كــيــمــا يــنــالَ رفــاقَــهُ[2]
بعدَ النوى
لــكــنّــهــا قــد رُوِّعــتْ لا لــن تــرومَ وفــاقَــهُ[3]
فَقَدَ القِوى
وأمــامَــهُ مَــرَّتْ أرا دَ لــحــاقَــهــا فَــتَــعَــرْقَــلا
خــارَتْ قِــواهُ وبــعــدمــا ولّــتْ يُــخــالُ مُــكــبَّــلا
مُــتَــعــثِّــرًا فــي جــريــهِ، لا عَــودَ عــمّــا أقــبــلا[4]
لــكــنّــه فــي فــهــمِــهِ عِــلْــمًــا عــظــيــمًــا حــصّــلا
وإلــى الــمــلــيــحــةِ فــلْــيــعُــدْ مُــتَــقــرِّبــا مُــتَــعَــلِّــلا

(١) ستًّا وسبعًا من الليالي بنهاراتها.
(٢) رفاقه: من جماعة الحيوان.
(٣) لكنّها: الضمير يعود إلى رفاقه من جماعة الحيوان.
(٤) عمّا أقبلَ: عمّا أقبل عليه من فعل مع المرأة.

عـيـنـاهُ فـيـهـا عـائـدًا وكـلامُـهـا فـيـهِ سـرى
مـا كـان أَمْـتَـعَ أن يَـرى نُـطْـقًـا يـسـيـلُ مـعـبِّـرًا:
«أنـتَ الـحـكـيـمُ، كـمـا أرى، شِـبـهُ الإلـهِ بِـلا مِـرا
فـي الـبـرِّ تـرعـى سـارحًـا كـالـبَـهـمِ، مـا لَـكَ لا تـرى!؟

هـيّـا إلـى «أوروكَ» فَـلْـ تَـذْهَـبْ معـي، خِـلِّـي الـكـريـمْ!
حـيـثُ الـمـعـابـدُ قُـدِّسـتْ حـيـثُ الألـوهـةُ لا تَـريـمْ
وهـنـاكَ تـلـقـى قـائـدًا «جـلـجـامـشَ» الـبـأسِ الـعـظـيـم
فـوقَ الـرّجـالِ جـمـيـعِـهـمْ كـالـثَّـورِ وحـشـيًّـا، جَـسـيـم»
وكـلامُـهـا مـن نـفـسِـهِ أهـوى عـلـى قَـلْـبٍ سـلـيـم
إذْ كـانَ يـبـغـي صـاحـبًـا يَـسـطـيـعُ مَـعْـهُ أن يُـقـيـم
فـانـصـاعَ إنـكـيـدو الـقـويُّ إلـى كـلامِ الـكـاهـنـه:
«رأيٌ حكيمْ
هـيّـا خُـذيـنـي وانـقـذيـ نـي مـن حـيـاتـي الـراهـنـه،
عَيْشٌ زنيم
وبـمـعـبـدٍ قـد قُـدِّسـت «عـشـتـارُ» فـيـه سـنُـقـيـمْ
حَـيْـثُ الـمـروِّعُ قـائـدٌ «جـلـجـامـشُ» الـبـأسِ الـعـظـيـم
فـوقَ الـرِّجـالِ جـمـيـعِـهـمْ كـالـثَّـوْرِ وَحْـشِـيًّـا، جـسـيـم
أمـضـي إلـيـهِ مـكـلّـمَـهْ
وبـجُـرْأةٍ كـي أُحْـلِـمَـهْ[١]
صـوتـي يُـدَوّي فـي «أورك» أنـا الـقـويُّ أنـا الـقـديـر

(١) أحلمه: أجعله حليمًا.

وتسيرُ «أوروكُ» العظيـ ـمةُ غيرَ ما كانتْ تسير
وَلَدُ القِفارِ أنا القو يُّ وعنديَ البأسُ المريرْ»

- «هيّا، لنذهبْ قاصدِيـ ـنَ لوجهه كيما يراكْ
هيّا لتجتمعا معًا.. لمُقامِهِ وجِّهْ خُطاكْ

هيّا إلى «أوروكَ» فَلْنَذْهَبْ معَهْ[١]
حَيْثُ المباهجُ جمّةٌ ومروِّعه
وخِناثُهُم هُمْ يرتعون على سعَهْ[٢]
بثيابِ غيدٍ يزدهونَ ملمّعَه،
وكواهنٌ للحبِّ هنَّ على دعَهْ

في فِتنةٍ يَمْرَحْنَ لهوًا بالحُلَلْ[٣]
في شهوةٍ يَطْفَحْنَ شوقًا لِلْغَزَلْ
وعلى أَسِرَّتِهنَّ يَسْقينَ العَلَلْ
هو ذاك يا «إنكي» ويا حَقَّ الرَّجُل[٤]
سَأُرِيكَهُ «جلجامشَ» الفرِحَ الثمِلْ
انظر تأمّلْ مُنْعِمًا أو في عَجلْ

(١) مَعَهْ: معًا، والهاء للسكت عند الوقف.
(٢) الخناث: شباب مخنّثون.
(٣) الحلل: جمع حُلّة: الثياب الجديدة.
(٤) إنكي: اختصار إنكيدو أو ترخيم له.

تلقَ الكمالَ رُجولةً لا تُحْتَمَلْ
جَسَدٌ تزيّنهُ الحُللْ
شهواتُه تبغي البَللْ
هُوَذا القويُّ ومنكَ أقدرُ في العَملْ
ونشاطَهُ ليلًا نهارًا لا يَمَلْ
«إنكيدُ» لا تغلُ البطولةُ لِلبَطَلْ
«شمشُ» الإلهُ يَمُدُّهُ فَوْقَ الأَمَلْ[1]
«آنو» و«إنليلٌ» و«إيّا» درّبُوهْ[2]،
لا لن يَكِلْ
فهمًا عميقًا زائدًا قد لقّنوهْ،
حتّى اكتملْ
«جلجامشٌ» ستظلُّ في أحلامِه،
حتّى تصِلْ
من قبلِ أن تدنو إلى قُدّامِهِ،
يا لَلرَّجُلْ!»

أحلام جلجامش

أحلام جلجامش

«جلجامشٌ» ما كذّبَ النّبأَ الخَبَرْ
ولأمِّهِ «ننسونَ» يروي ما نَظَرْ،
في الحُلمِ في «أوروكَ» من بعضِ الصُّوَرْ:
«أمّاهُ! في حُلمي رأيتُ مِنَ العِبَرْ
في الجوِّ حشْدًا من نجومٍ تَنْهَمِرْ
كشِهابِ «آنو» الثّاقبِ العزمِ المِكَرْ
فهوى عليَّ كما تصاريفُ القدَرْ

نجمٌ عظيمٌ، رُمتُ أنّي أدفَعُهْ[1]
فوجدْتُهُ طَوْدًا تَطامَنَ مَوْضِعُهْ

سُكّانُ «أُوروكٍ» عليهِ تجمّعُوا
وتجمهرُوا وتألّبوا وتوضّعوا

يَتَدافعُونَ، وحولَهُ مثلُ السِّوارْ
قد قَبَّلوا قَدَمَيْهِ تقبيلَ الصِّغار
أثناءَ ذاكَ عليهِ مِلْ   تُ كما أميلُ على النّساءْ
ألقيْتُهُ أرضًا على   قَدَمَيْكِ لكنْ في إباءْ

(١) نجم: فاعل للفعل هوى في البيت السابق.

وَجَعَلْتُهُ نِدًّا لِشَخْ صيَ، في فؤادِكِ، بالسَّواءْ»
فأجابتِ الأُمُّ الحكيمةُ مُقبلَهْ:
«جلجامِ! يا ولدي إليكَ المسألة:[1]

النّجمُ ذاكَ معادلٌ لكَ فاتّئدْ
ذاكَ الذي كشِهابِ «آنو» المتّقِدْ
ذاك الذي حاوَلْتَ تَدْ فعُ باليَدَينِ فما اندفعْ
وَوَضَعْتَهُ أرضًا على قدميَّ لكنْ ما اتّضعْ

وَجَعَلْتَهُ نِدًّا لشخ صِكَ في فؤادِيَ بالسَّواءْ
وخلالَ ذاكَ عليهِ مِذْ تَ كما تميلُ على النّساءْ

ذاكَ الرّفيقُ يُعينُ عنـ دَ الضِّيقِ يثبُتُ كالتّلالْ
أقوى من الفَلَواتِ بأ سًا لا يَهابُ ولا يُنالْ
كشِهابِ «آنو» الثّاقِبِ الـ عَزَماتِ يهوي في الجبال،

إنْ كُنْتَ متّكئًا عليـ هِ كما تميلُ على النّساء
فَلَذاكَ يعني أنّهُ لا يترُكَنَّكَ في الخَلاء
هذاكُمُ تفسيرُ حُلْ مِكَ يا بُنَيَّ على السَّواء»
لكنَّ «جلجامي» يتابعُ تاليا:
«شاهدْتُ يا أمّاهُ حُلمًا ثانيا

(١) جلجام: ترخيم جلجامش أو اختصار له.

سـكّـانُ «أوروكَ» الـمـنـيـعـةِ رُوِّعـوا
وتـحـلَّـقُـوا مـن حَـوْلِـهـا وتَـجـمَّـعـوا
لـكـنْ، عـلـى قَـدَمَـيْـكِ تـحـتُ، أخـذْتُـهـا فـوضـعْـتُـهـا
وهـنـاكَ مِـلْـتُ كـمـا أمـيـلُ عـلـى فـتـاةٍ نِـلـتُـهـا
نـدًّا نـظـيـرًا لـي أنـا سـوّيْـتُـهـا»

فـأجـابَـتِ الأُمُّ الـحـكـيـمـةُ مُـقْـبِـلَـهْ:
« «جـلـجامِ»! يـا ولـدي! إلـيـكَ الـمـسـأَلَـةْ:
الـفـأسُ تـلـكَ كـمـا رأيْـتَ، عَـرَفْـتُـهـا، رَجُـلُ الإبـاءْ
ذاكَ الـقـويُّ عـلـيـهِ مِـلْـتَ كـمـا تـمـيـلُ عـلـى الـنّـسـاء
وجـعـلْـتَـهُ نِـدًّا لـشـخـصِـكَ فـي فـؤاديَ بـالـسّـواء
ذاك الـرّفـيـقُ يُـعـيـنُ عـنـدَ الـضّـيـقِ يـثـبُـتُ كـالـتِّـلالْ
أقـوى مـن الـفَـلَـواتِ بـأسًـا لا يَـهـابُ، ولا يُـنـال
كـشـهـابِ «آنـو» الـثّـاقـبِ الـعَـزَمـاتِ يـهـوي فـي الـجـبـال»

وإذا بـهِ «جـلـجـامـشٌ» هـذا يُـفـيـقْ:
«يـا أمِّ. . ! فـلـيـبـسِـمْ لـيَ الـحظُّ الـعَـمـيـقْ
يـا أمِّ. . ! هـل أُعْـطَـى فـأحـظـى بِـرَفـيـق؟»

إنكيدو عند الرعاة

إذ كـان «جـلـجـامِـيـشُ» يـتـلـو حُـلـمَـهُ
والأمُّ «نَــنْـســونٌ» تُــريــهِ عــلــمَــهُ
كــانــا مــعًــا يــتــغــازلانْ،
كــانــا مــعًــا يــتــبــادلانْ،
«إنكي» وتلك الكاهِنة[1]،
كأسَ الـهـوى، يـتـسـاقَـيـانْ،
«إنـكـي» وتِـلْـكَ الـكـاهِـنَـة،
سـبـعًـا لـيـالـيَ ضـمَّـهـا،
بـنـهـارهـا مـتـعـانـقـانْ،
سـبـعًـا وسـتًّـا ضـمّـهـا
وتـقـولُ تِـلْـكَ الـكـاهـنـه:
«إنــكــيــدُ» يــا شِــبــهَ الإلــه!
هــذا وَحَــقّــكِ مــا أراهْ
فَـعَـلامَ تَـسْـرَحُ فـي الـبـراري هـائـمـا؟
وبـرفـقـةِ الـحَـيَـوانِ تـبـقـى حـالـمـا؟
يَــكْــفـيــكَ سَــعْــيًــا فــي الــفــلاةْ
هــيّــا إلــى «أوروكَ» فــي أسْــواقِــهــا

(١) إنكي: ترخيم إنكيدو أو اختصار له.

ومَـعـابِـدِ الأَرْبـابِ فـي أَرْواقِـهـا
«هـيّـا إلـى مَـرَحٍ وَجـاهْ
هـيّا إلى «جلجامشٍ» البأسِ العظيمْ
«آنـو» هـنـاكَ وفـي «إيـانـاهُ» يُـقـيـم[١]
وأراك مثلَهُ في الصّغير وفي الجسيم
ما أنت من بعض الشِّياه
هـيّـا أرى سـتـحـبُّـهُ حـبًّـا كـذاتِـك فـي الـحـيـاةْ
فـاهـجُـرْ أراضـي الـرعـيِ إذ كـانـتْ سـريًّـا لـلـرُّعـاةْ»

فـانـصـاعَ «إنـكـيـدو» لـنُـصـحِ الـكـاهـنـه
ورأى حـيـاةً أيـنَ مـنـهـا الـرّاهـنـة؟

وَلِـثَـوبِـهـا قـامَـتْ تُـنَـصّـفُ فـانْـتَـصَـفْ
وبِـنِـصْـفِـهِ لَـفَّـتْ عَـلَـيْـهِ فـانـغَـلَـفْ

ورَمـتْ عـلَـيْـهـا نِـصفَـهُ كـي تَـكْـتَـسـي[٢]
وَمَـضَـتْ بِـهِ بـالـحُـبِّ كـيـمـا يـأتـسـي[٣]

وكـأمِّـه يـنـجـرُّ خـلـفَ يـمـيـنِـهـا
وإلـى مـوائـدَ لـلـرُّعـاةِ بِـعَـيْـنِـهـا

(١) إياناه: إيانا: اسم معبد، والهاء ضمير يعود إلى آنو.
(٢) عليها: على نفسها.
(٣) يأتسي: يأتسي بها أي يقتدي بها فيمضي كما تمضي هي.

حَيْثُ الحظائرُ مجمعُ الرُّعيانِ
فتجمّعوا في دَهْشَةِ الحَيْرانِ:
- أَوَكانَ يَرْضَعُ دِرّةَ الغِزْلانِ؟
- ما كان يَعْرِفُ مَأْكَلَ الإنْسانِ
قَدْ قَدَّمُوا خُبْزًا لهُ فاسْتَعْجَمَهْ[1]
قالتْ لهُ تلكَ الفتاةُ مُكَلِّمهْ:
«الخبزُ زادُكَ للحياةِ ألا الْهَمَه
وكذا الشّرابُ يشدُّها فلْتَعْلَمهْ»

وإذا بهِ يَقْتاتُ خُبْزًا طَيِّبا
وَمِنَ الشَّرابِ يَعُبُّ حتّى يَطْرَبا
وفُجاءَةً يهتزُّ هَزًّا أعْجَبا
وجبينُهُ فَرَحًا تَراهُ تَصَبَّبا

فمضى إلى زَيْتٍ وطرّى شَعْرَهُ
فغدا بِهِ بَشَرًا سَوِيًّا وَعْرُهُ

وَعَباءَةً ألقى على كَتِفَيْهِ
رَجُلًا بدا والحَزْمُ في عَيْنَيْهِ

حَمَلَ السِّلاحَ مُهاجِمًا وَحْشَ الفلاةْ
لِيُريحَ من أهوالِها جَمْعَ الرُّعاةْ

(١) إستعجمَه: وجده غريبًا.

ومضى يصيدُ من الأسودِ فلا يَهابْ
ومُهاجمًا في الليلِ قُطعانَ الذّئابْ

فينامُ رُعيانُ المواشي آمنينْ
فاليومَ «إنكيدو» لَهُمْ خَفَرٌ أمين
رجلٌ قويٌّ، لا مثيلَ لَهُ، مُعين

«إنـكـيـدُ» فـي فَـرَحٍ ثـوى يـبـغـي الـحـيـاةْ
والـطَّـرْفَ مَـدَّ مـسـائـلًا : مـاذا عـسـاهْ؟
رَجُـلًا رأى، يـجـري، يُـعَـجِّـلُ فـي خُـطـاه
نـادى رفـيـقـتَـهُ وقـال لـهـا : «نـراهْ
تَـعِـبًـا، فـهـاتـيـهِ لِـنَـعْـلَـمَ مـا دهـاهْ»

نـادَتْ فـتـاةُ الـحـبِّ ذَيَّـاكَ الـرَّجُـلْ:
«فـيـمَ تُـهَـرْوِلُ مُـتْـعَـبًـا؟ هـيّـا، فَـقُـلْ»

فـأجـابَ «إنـكـيـدو» وقـال لَـهُ: «ألَـمْ. . !»[1]
جـلـجـامـشٌ خَـرَمَ الـمـحـارمَ واقْـتَـحَـمْ
بـيـتَ الـجـمـاعـةِ، لا يـصـونُ لـهُ الـحَـرَمْ
وعـرائـسًـا يُـجْـلَـوْنَ يـسـبـي عـن أَمَـمْ

وعـلـى الـخـلائـقِ مـدّ عـارًا فـي الـمـديـنـهْ
أجـرى عـلـى الـسُّـكّـانِ عـاداتٍ مَـشـيـنـه
ولأجـلـهِ قـرعُـوا الـطّـبـولَ فـلا سـكـيـنـه
وَلأجْـلِـهِ جَـعَـلُـوا الـعَـروسَ كـيـاسـمـيـنَـهْ

---

(١) أجابَ إنكيدو: أجابَ الرجلُ إنكيدو.

تَـرْتـجُّ «أُوروكُ» الـعَـلـيـلَـةُ كـالـمَـهـيـنَـهْ
تَرْتـجُّ فـي حـفـلِ الـعـروسِ كـمـا الـرَّهـيـنَـة
وَلأجْـلِـهِ قـرعُـوا الـطُّـبـولَ فـلا سـكـيـنَـه
وَلأجْـلِـهِ جَـعَـلُـوا الـعَـروسَ كـيـاسـمـيـنَـه
تَـرتـجُّ «أوروكُ» الـعـلـيـلَـةُ كـالـمَـهـيـنـهْ
تَـرتـجُّ فـي حـفـلِ الـعـروسِ كـمـا الـرَّهـيـنـه
جـلـجـامـشٌ يَـطَـأُ الـعَـرا ئـسَ كـلَّـهـا حـتّـى الْـمَـصُـونَـهْ
تـلـك الّـتـي خُـطِـبَـتْ لـتُـفْـ ـرِحَ بَـعْـلَـهـا صـارَتْ حـزيـنـه

يــأتــي إلــيــهــا أوّلًا مُــتَــعَــلِّــلا
والــزَّوْجُ يــأتــي بــعــدَهُ مُــتَــذَلِّــلا . . .
هــذا الــذي قـضـتِ الـسَّـمـاءُ مُـعـجَّـلا
مــنــذُ الــولادةِ أنْ يــكــونَ مُـجَـلَّـلا»[١]

إنكيدو في أوروك

«إنـكـيـدُ» يَـصْـرُخُ إذ يُـرَوِّعُـهُ الـمَـقـالْ[١]
«يا حُلْوتي! هيّا إلى المَلِكِ المُحال»[٢]
ويـسـيـرُ «إنـكـي» والـفـتـاةُ عـلـى اعـتـدال
فـي عِـزّةٍ كـبـرى يـزيِّـنُـهـا الـجَـمـالْ
سَـعْـيًـا إلـى «أوروكَ» يـحـدوهُ الـسُّـؤالْ
وهُـنـاكَ فـي الأرواقِ يـجـري بـاخـتـيـالْ
وإذا الأنـامُ تـجـمّـعُـوا حـتّـى الـعِـيـال
يَـجْـرُونَ خـلـفَ مـؤمَّـلٍ نَـشَـدَ الـكـمـالْ

قـالُـوا[٣]: - شـبـيـهُ مـلـيـكِـنـا فـي بُـنْـيَـتِـهْ
- أَوْ كـانَ أقـصـرَ قـامـةً مـن قـامـتِـهْ

- بـل إنّـهُ لأشـدُّ عـودًا، هـل هُـمـا..؟
- مَنْ منهما في البأسِ أقوى؟ - كم هما..!
- أقـوى مـن الـفَـلَـواتِ بـأ سًـا لا يُـنـالُ، ولا يُـطـالْ
- رَضِـعَ الـحـلـيـبَ مـن الـبَـهـا ئِـمِ، فـي الـقِـفـارِ وفـي الـجِـبـالْ

(١) المقال: هو مقال الرّجل في الفصل السابق في موضوع استعباد جلجامش للشعب.
(٢) الملك المحال: الملك المعوجّ عن الطريق الحقّ.
(٣) الخطّ (-) يشير إلى حوار عفويّ بين أهل أوروك الّذين تجمّعوا حول إنكيدو.

- لا بـــدَّ فـــي أوروكَ مـــنْ قـرعِ الـسُّـيـوفِ عـلـى الـنِّـصـالْ
سُـــرَّ الـــرّجـــالُ ونـــالَـــهُـــم فَـــرَحٌ عــظــيــمٌ بــالـــوصـــالْ:
- جـلـجـامـشُ الـتـمُّ الـوسـا مـــةِ نـــدُّه جـــا بـــاعـــتـــدالْ
- شـــبـــهُ الإلـــه بـــقـــامـــةٍ كـالـطَّـودِ يـعـلـو لا يُـنـالْ
ولـعُـرْسِ «إشـخـارا» أُعِـدَّ الـمـضـجَـعُ(١)
وأَوَتْ إلـــيـــهِ صـــبـــيَّـــةٌ تـــتـــبـــرقَـــعُ
كـيـمـا يـواصـلَـهـا الـمـلـيـكُ الأروعُ
ويَـــوَدُّ «جـلـجـامـي» دخـــولَ الـمـعـبَـدِ
وإذا «بـــإنـــكـــيـــدو» لـــهُ بـــالـــمـــرصَـــدِ
ويـــســـدُّ مـــدخـــلَـــهُ بـــعـــزمٍ أيِّـــدِ

المبارزة

فـي مـلـتـقـى الأسـواقِ فـي «أوروكَ» قـد تـمَّ الـلـقـاءْ
مـا بـيـنَ عِـمـلاقَـيْـنِ قـد وُقِـفـا لأحـكـامِ الـقـضـاء
قَـدَمٌ «لإنـكـيـدو» تَـسُـدُّ الـبـابَ، لـكـن لا عِـداء
وتَـصُـدُّ «جـلـجـامـشَ» لا يـدنـو مـن الـوجـهِ الـمُـضـاءْ
«جـلـجـامـشٌ» أهـوى عـلـى «إنـكـيـدُ» يـبـغـي حَـدَّهُ
«إنـكـيـدُ» ردَّ عـلـى الـمـلـيـكِ يَـحُـدُّهُ ويَـصُـدُّهُ

وتـمـاسـكـا كـلٌّ يَـشُـدْ
وتـجـاذبـا كـلٌّ يَـهِـدْ(١)
خـارا كـمـا الـثّـيرانُ فـي سـاحِ الـنّـزالْ
ودعـائـمُ الأبـوابِ حـطَّـمَـهـا الـقـتـالْ
ثَـوْرانِ بـل ثَـوْرا عِـراكٍ لا يُـخـالْ
مـادَتْ لـه الـجَـنَـبـاتُ واهـتـزَّ الـمـجـالْ

وتـمـاسـكـا كـلٌّ يَـشُـدْ
وتـجـاذبـا كـلٌّ يَـهِـدْ
خـارا كـمـا الـثّـيرانُ فـي سـاحِ الـنّـزالْ
ودعـائـمُ الأبـوابِ حـطَّـمَـهـا الـقـتـالْ
ثَـوْرانِ بـل ثَـوْرا عِـراكٍ لا يُـخـالْ

---

(١) يهِدّ: يهدر.

مـادَتْ لـه الـجَـنَـبـاتُ واهـتـزَّ الـمـجـالْ
لـكـنّ «جـلـجـامـي» أخـيـرًا شـدَّهُ
وهـوى عـلـيـهِ وتـحـتَـهُ قـد مـدَّهُ
قَـدَمـانِ ثـابـتـتـانِ لا تـتـحـرّكـانْ
والـغـيـظُ قـد ولّـى كـمـا يـمضـي الـدُّخـان
وإلـى فـتـاةِ الـعُـرسِ يـمـشـي بـاتّـزانْ
أثـنـاءَ مـا «جـلـجـامـشٌ» يـمـضـي إلـى مـا قـد وُعِـدْ
نَـهَـضَ الـفـتـى «إنـكـيـدُ» يـهـتـفُ: «أيـنَ. . ؟ يـا رجـلُ! اتّـئـدْ
فَـذٌّ فـريـدٌ أنـتَ يـا «جـلـجـامِ» فـي كـلِّ الـبـلَـدْ
«نـنـسـونُ» أُمُّـكَ ربّـةُ الـمـدُنِ الـحـصـيـنـه
الـثـورةُ الـوحـشـيّـةُ الأمُّ الـرّزيـنـه[1]

حَـمَـلَـتْـكَ فـي أحـشـائـهـا رَجُـلًا عـظـيـمـا
وبـهـا عَـرَفْـتَ تـفـوُّقًـا فـكـنِ الـكـريـمـا

«إنـلـيـلُ» سـلـطـانًـا كـبـيـرًا قـد حَـبـاكْ
فـارحـمْ ولا تَـظْـلِـم؛ فـكـلُّـهُـمُ فَـداكْ»

المصالحة[1]

[فارتدّ «جلجامي» وقد سَمِعَ الكلامْ
واحتارَ هل هو في الحقيقةِ أمْ مَنامْ؟
وتذكَّر الحُلْمَيْنِ فأسًا والنُّجومْ:
«نَنْسونُ» قالَتْ: «إنّهُ حُلُمٌ عظيم
ذاك الرّفيقُ يُعينُ عنـ   ـدَ الضّيقِ يثبُتُ كالتِّلالْ
أقوى من الفَلَواتِ بأ   سًا، لا يَهابُ ولا يُنالْ
كشهابِ آنو الثّاقب الـ   ـعَزَماتِ يهوي في الجبالْ»
ومضى إلى «إنكيدُ» يبغي ضمَّهُ
ويشدُّ منهُ العزمَ يجلو همَّهُ:
«إنكيدُ.. يا نَسْلَ الفيافي والقفارْ!
أنتَ الفتى الأنقى كما ضوءُ النّهارْ

هيّا إليَّ لِنَسْلُكَنْ دربَ الحياةْ
خِلّينِ نمضي والشرورُ إلى المماتْ»

فيجيبُ «إنكيدو»: «ألا فَلْتَصْدُقَنْ

---

(١) هذا الفصل من الملحمة وكل ما سنراه موضوعًا بين معقوفتين من وضع الناظم واجتهاده تعويضًا عمّا هو تالفٌ في أصل الألواح المكتشفة في الحفريّات وربطًا للسابق باللاحق، وسدًّا للخروق الواقعة في الملحمة نتيجة لذلك التلف، وسنشير إلى ما كان في أمرٍ غير ذلك في موضعه.

إنْ كنْتَ في ذلكَ تمضي فَلأَكُنْ
عبدًا لكي نسلُكَ دَرْبَ المطْمَئِنْ

عبدًا لكي أبقى لَكَ الخِلَّ الأمينْ
نحيا الحياةَ فلا نضُرُّ الآخرين
بل نجعلُ الدّنيا سلامَ العالمين»
وتعاقدا فتصادقا
وعلى السّلامِ ترافَقا
بمحبّةٍ فترفّقا
بالآخرينَ تعلّقا
والظُّلْمُ ماتَ فلا يكونْ
والحبُّ سادَ على الظّنونْ
والنّاسُ في فَرَحٍ مَبينْ]

إلى غابة الأرز

إلى غابة الأرز

[«هـيّـا إلـى الأرزِ الـجـمـيـ ـلِ ومـا هُـنـاكَ نَـرودُهُ
هـيّـا إلـى غـابـاتـهِ لـنـصـيـرَ فـيـه سِـيـدَهُ
و«حـواوَ» قـاهـرُ كـلِّ مُـر تـادٍ لـهُ سـنَـكـيـدُه[1]
بـل سـوف نـقـتـلُـهُ ونُـنْ ـهـي الـشـرَّ فـيـهِ نُـبـيـدُهُ»

فـأجـابَ «إنـكـيـدو» وحـا لُ الـذُّعـرِ مَـطْـويٌّ بـفـيـهِ:]
«فـيـمَ تَـوَدُّ بـرغـبـةٍ عُـظمى الـمسـيرَ كـمشـتـهـيـهِ؟
وأرى لـرغـبـتِـكَ الـحـدو دَ بـعـيـدةَ الـمـرمـى إلـيـه
فـيـمَ الـمـضـيُّ لَـغـابـةِ الـ أرزِ الـبـعـيـدةِ تـبـتـغـيـهِ؟»

- «إنـكـيـدُ».. ! بـل هـي يـا صـديـ قُ رسـالـةٌ كُـتِـبَـتْ عَـلَـيّـهْ»
فـتـصـافـحـا وتـعـانـقـا وتـبـادلا قُـبـلًا شَـهـيَّـهْ
إذ قَـدَّمـا لإلـهِ أو روكٍ قـرابـيـنًـا نَـديّـهْ

[حـتّـى إذا قـرّ الـقـرا رُ وصـارَ رأيًـا لا يُـلَـفُّ
وتـبـادلا بـالـطّـرْفِ تَـصْـ ـمـيـمًـا وحُـكـمًـا لا يُـكَـفُّ]
اغـرورقَـتْ عـيـنـاهُ «إنـ ـكـيـدو» بـدمـعٍ لا يـجـفُّ

---

(١) حواوَ أو حواوا: وحش أسطوري وحامي غابة الأرز وصانع الشر في العالم واسمه الآخر «خمبابا».

مَــلأ الأســى قــلــبًــا لــهُ والآهُ أوتـــــارٌ تـــــرِفُّ

اغــــرورقَـــتْ عـــيـــنـــاهُ «إنـ كـــيــدو» فــأَدْمُــعُــهُ تَــسِــحُّ
مَــلأ الأســى قــلــبًــا لــهُ والآهُ أوتـــــارٌ تَـــبَـــحُّ

فيقولُ «جلجامي» لإنكي: «أي صديقْ
عيناك دمعُهما تقاطرَ كالعقيقْ
والقلبُ محزونٌ، فما لكَ لا تُفيقْ!؟
حرّى هِيَ الآهاتُ فِيكَ أما تروق؟»

فيردُّ «إنكيدو»: «صديقي..! ما تريدْ؟
خارَتْ قوايَ، ونالني ضَعْفٌ شديدْ
زندي تلاشى عزمُهُ، ما من مَزيدْ»

[- «إنكيدُ»، لا.. فلتحفظَنْ لي ساعدَيْكْ
فلْتحفظَنَّهُما كما كانا لَدَيْكْ
يا صاحِ! شُدَّ العزمَ منكَ، ولا عليكْ
ولَنحنُ أحوجُ ما نكونُ لقوّتَيْك][1]

فــي الــغــابــةِ الــكــبــرى هــنــا كَ يعيشُ «خمبابا» الشّديدْ
هــيّــا لــنــقــتــلَــهُ ونــمـ حو الشرَّ من كلِّ الوجود»

«إنكيدُ» قالَ، وقد تيقّنَ من سَفَرْ:
«الغابُ شائكةٌ إلى ألفَيْ عشر[2]

(١) قوّتيك: أي الجسديّة والنفسيّة.
(٢) ألفي عشر: أي عشرين ألف ساعة أو عشرة آلاف ساعة مضاعفة.

هـذا عَـرَفْـتُـهُ يـومَ طُـفْـتُ مـعَ الـبـقـر»[١]
مَـنْ ذاكَ يـسـطـيـعُ الـمُـضـيَّ أو الـمَـمَـرْ؟
و«حَـواوَ» يـزأرُ مـثـلَ عـاصِـفـةِ الـمـطـرْ
والـنّـارُ فـي فـمِـهِ يـواكـبُـهـا الـشَّـرَرْ
أنـفـاسُـهُ مِـحـراقـةٌ فـيـهـا الـضَّـرَرْ

فـعـلامَ تـرغَـبُ أن تـقـومَ بـذلـكـا
و«حَـواوَ» مُـنـقـضٌّ عـلـيـكَ، يـنـالُـكـا!؟
مَـن يـدفـعُ الـعـاتـي إذا مـا جـاءَكـا؟»

لـكـنَّ «جـلـجـامـي» يـجـيـبُ مـقـرِّرا:
«نـرقـى جـبـالَ الأرزِ لـن نـتـأخّـرا»

فـيـقـولُ «إنـكـيـدو» يُـشـيـرُ إلـى الـصِّـعـابْ:
«كـيـف الـمُـضـيُّ إلـى تـهـاويـل الـشِّـعـاب؟
و«حـواوَ» حـارسُـهـا غَـضـوبٌ لا يَـهـابْ
وعـيـونُـهُ يـقـظـى سـهـامٌ أو حِـرابْ
«إنـلـيـلُ» أوكـلَـهُ خـفـيـرًا مُـسْـتـهـابْ
يـحـمـي حِـراجَ الأرزِ مـرهـوبَ الـجَـنـابْ»
فـيـردُّ «جـلـجـامـي» وقـد كَـثُـرَ الـخـطـابْ:
«مَنْ - يا تُرى - يرقى إلى «شمشِ» السَّحابْ[٢]؟

(١) مع البقر: إشارة إلى الحياة التي قضاها بين قطعان الحيوان.
(٢) إشارة إلى أن جلجامش في رحلته إلى غابة الأرز مؤيّد بالإله شمش.

لـيـس الـورى لـكـنَّـهـم أهـلُ الـسَّـمـاءْ
الـخـالـدونَ عـلـى الـمـدى أهـلُ الـقـضـاءْ
والـنّـاسُ فـي عـمـرٍ يـحـدّدُهُ الـفـنـاءْ
أعـمـالُـهـم كـالـرّيـحِ تـذهـبُ فـي الـعَـراء

إنّـا هـنـا والـخـوفُ أضـعـفَ سـاعِـدَيْـكْ
أوّاهُ. . . ! تـبـتـلـعُ الـمـخـاوفُ قـوَّتَـيْـكْ
هـيّـا أنـا أمـشـي أمـامَـك لا عـلـيـكْ
وبـحـسـبـيَ الـتـشـجـيـعُ مـنـك بـمـا لَـدَيْـك

وإذا سـقـطْـتُ فـشُـهـرةً إصـنـعْ لـيـا:
مـا كـان «جـلـجـامـيـشُ» يـومًـا راضـيـا
طـلـبَ الـمُـحـالَ فـمـاتَ لـيـسَ مُـبـالـيـا
«وحـواوَ» وحـشَ الأرزِ كـانَ مُـعـاديـا»
[«إنـكـيـدُ» قـال بـكـلِّ حـزنٍ واكـتـئـابْ:
««جـلـجـامـشُ» الـغـازي يـخـالـجُـهُ ارتـيـابْ
لا عِـشْـتُ بـعـدَكَ يـا صـديـقُ عـلـى الـهـضـابْ
ومـعًـا نـمـوتُ أو الـوصـولُ إلـى الـرِّغـابْ»
«جـلـجـامـشٌ» عـن قـولِ «إنـكـيـدو» أجـاب:]
«أفْـعَـمْـتَ قـلـبـي يـا صـديـقيَ بـالـخـطـاب

هـا إنّـنـي مـاضٍ إلـى شـأنـي وحُـلـمـي
والأرزُ أقـطـعُـهُ لـيـخـلـدَ فـيـه اِسـمـي

وأوامري تمضي لصنّاعِ الصِّفاحِ
كي يصنعوا بعيوننا أمضى سِلاحِ»
فتجمّعُوا وتوافدُوا
وتشاورُوا وتعاقدُوا

صنعوا سُيوفًا هائلَهْ
أوزانُها متثاقلَهْ

وكذا فؤوسًا فصّلُوا
أوزانَها قد أثقلُوا

والسَّيفُ غِمدُهُ من ذهبْ
قد صنّعوهُ على الطلبْ

وتجهّزا حَمَلا السِّلاحْ
قد أشرَعا بيضَ الصِّفاحْ

شيوخ أوروك
يودّعون جلجامش

فـي الـسّـوقِ عـنـدَ مـداخـلِ الـبـلـد الـمـنـيـعْ
«جـلـجـامـشٌ» يـسـتـقـبـلُ الـجـمـعَ الـرّفـيـعْ
هـم يـجـلـسـون أمـامـه، كـلٌّ سـمـيـعْ

«جـلـجـامـشٌ» ذاكَ الأمـيـنْ
يـتـلـو عـلـى مـرأى الـعـيـون:
«أنـا ذاهـبٌ لـيـرى الـمـنـون
ذاكَ الـذي بـه تـهـذِرونْ
ذاك الـذي تـتـخـوّفُـونْ
سـيـصـيـحُ فـي الـبـلـدِ الـرّغـيـدْ
صـوتٌ يُـجـلـجِـلُ مـن بـعـيـدْ:
ذاكُـمْ هُـوَ الـفـذُّ الـفـريـدْ
ذاكُـمْ هُـوَ الـبـطـلُ الـشّـديـدْ
هُـوَ شِـبـلُ «أوروكَ» الـمَـريـدْ

بـيـدي سـأقـطَـعُ أرزَ تـلـكَ الـغـابـةِ
واسـمـي سـأحـفُـرُهُ وهـذي غـايـتـي»

وشـيـوخُ «أوروكٍ» أجـابُـوا قـائـلـيـنْ:[١]
- أنـتَ الـفـتـيُّ وتـمـلِـكُ الـجَـسَـدَ الـمـتـيـنْ
- وَعَـزَمْـتَ عـزمًـا لـيـسَ يُـدرَكُ بـالـظّـنـون
- وَلأنْـتَ تـجـهـلُـهُ، وتـجـهـلُ مـا يـكـون

- إنَّـا عَـرَفْـنـا شـكـلَ ذا الـوحـشِ الـمـخـيـفْ
- وسـمـعْـتُ أنَّ سـلاحَـهُ أبـدًا رهـيـفْ
- وبـغـابـةٍ كـبـرى بـهـا أبـدًا يُـطـيـفْ
- لـيـسَ الـمَـضـيُّ بـعُـمْـقِـهـا الـشـيءَ الألـيـف.

- و«حـواوَ» يـزأرُ مـثـلَ عـاصـفـةِ الـمـطـرْ
- والـنّـارُ فـي فـمِـهِ يُـواكـبُـهـا الـشَّـررْ
- أنـفـاسُـهُ مِـحـراقـةٌ فـيـهـا الـضّـررْ

- فـعـلامَ تـرغَـبُ أنْ تـقـومَ بـذلـكـا؟
- و«حـواوَ» مُـنـقَـضٌّ عـلـيـكَ يـنـالُـكـا
مَـنْ يـدفَـعُ الـعـاتـي إذا مـا جـاءَكـا؟
لـكـنَّ «جـلـجـامي» يـتـابـعُ ضـاحـكـا:
«إنـكـيـدُ» هـيّـا بـي ولـن نـتـمـاحـكـا

يـا أهـلَ «أوروكَ» الـمـنـيـعـةِ ودِّعـوا،
وإلـى مـسـاكـنِـكُـمْ، هُـنـالِـكُـمُ امـرعـوا»

(١) الخط (-) بعد هذا البيت يشير إلى حوار يتناوبه شيوخ أوروك.

وشـــيـــوخُ «أوروكٍ» صـــلاةً وقّـــعـــوا:
«فـلْـيـنـصُـرَنَّـكُـمُ الإلـهُ فـتـرجِـعـوا
ولأرض «أوروكَ» الـمـنـيـعـةِ أسـرعُـوا
وبـعـزّةٍ فـي مَـرفـأ الأمـن ارتـعـوا»

«جـلـجـامـشٌ» سـمـعَ الـدُّعـاءَ يُـرَجَّـعُ
فـمـضـى لـشـمـشٍ في صـلاتِـهِ يـركـعُ:
«أنـا ذاهـبٌ ويـدي إلـيـكُـمُ أرفـعُ
فـلـتـهـدَأنْ روحـي ويـهـدا الـمـضـجَـعُ
وإلـى «أروكَ» مـسـلَّـمًـا أنـا مُـرجَـعُ
بـرعـايـةٍ مـنـكـم تـرانـيَ أطـمـعُ»

ودعـا الـمـلـيـكُ صـديـقَـهُ كـي يـتـبـعَـهْ
ومـضـى إلـى عـرّافـةٍ كـي تُـطـلـعَـهْ
[مـا بـخـتُـهُ؟ قـالَـتْ لـهُ: «مـا أروعَـهْ!
لـكـنْ صـعـوبـاتٌ هـنـاكَ مـقـنَّـعـهْ»]

جَـرَتِ الـدّمـوعُ عـلـى مـسـايـلِ خـدِّهِ:
«هـذا طـريـقٌ قـبـلُ لـم أسـلِـكْ بـهِ

[شـيءٌ مَـهـيـبٌ غـيـرَ أنّـي لـن أحـيـدْ
عـمّـا عـزمْـتُ ولـن يُـنَـهْـنِـهَـني الـوعـيـد»]

جاؤوا له بصنوف أسلحةٍ قديمهْ
منها سيوفٌ أُرهِفَتْ كانَتْ عظيمهْ
هيَ جَعْبَةٌ بسهامِها صارَتْ لَدَيْهِ
والقوسُ من «أنشانَ» قد وُضِعَتْ عليهِ[١]

حَمَلا السِّلاحَ وسافَرا متأثِّرَيْنْ
وتقدّمَ الأشياخُ منهُ مودّعينْ
قالوا لهُ: «ومتى تعودُ؟ مباركٌ أنتَ البَطلْ»
وتقدّمُوا منهُ بنُصْحٍ، لا إساءةَ، لا مَلَلْ:
«لا تركُنَنَّ لقوّتِكْ
«إنكيدُ» مانعُ عثرتِكْ

كشفَ الطّريقَ بها جَرى
دعْهُ يسيرُ كما يرى
واتبعْهُ واسرِ كما سرى
يمشي أمامَكَ في الطريق لكي يَصُونْ
فاتبعْ صديقَكَ لا تَساورْكَ الظُّنون
دَعْهُ ليكشفَ ما يغيبُ عن العُيونْ
عَرَفَ الطّريقَ إلى «حواوا» من سنين
في غابةِ الأرزِ المُمَنَّعَةِ الحصين

(١) أنشان: منطقة مشهورة بصناعة الأقواس، من إقليم عيلام جنوب غربيّ فارس.

«شَمْشُ» الإلهُ حَباكَ نَصْـ ـرًا مُقْبلًا فَتَوَسَّما[1]
هو كاتبٌ لَكَ أن ترى ما فُهْتَ فيهِ مُقدَّما
هُوَ فاتِحٌ لكَ ما تَغَلَّـ ـقَ من مسالِكَ فاعلما
هو جاعِلٌ دربَ المسيـ ـرِ مُيَسَّرًا فتقدَّما
والوعرَ من جبلٍ يسهِّـ ـلُ دربَه، لا تندما
والليلُ يحملُ فرحةً ومكاسبًا لكَ فاغنما
«لو جالَ بندا» حافظٌ ومُرافقٌ لكَ فاسلما
والنّصرُ نصرُكَ مثلُ لهـ ـوِ الطّفلِ سهلٌ فانعما
في نهر «خمبابا» الذي تسعى خُطاكْ
قَدَمَيْكَ غسِّلْ بالمياهِ على هواكْ
بئرًا، مساءً، هل حفرْتَ؟ فلا دَهاكْ
جوعٌ، ولا ظَمَأٌ تُصابُ بهِ هُناكْ
واحملْ قَراحًا لا تَكِلُّ بهِ يداك

«ولِشَمْشَ» قرِّبْ باردًا يحفظْ يدَيْكْ
«لو جال بندَ» حدودُهُ صُنها لدَيْكْ»

«إنكيدُ» قال: «إلى الوراءِ مليكيا
هيّا إلى سَفَرٍ وأنتَ ورائيا
لا تخشَ بعدَ اليومِ، كُنْ أمِنًا بيا

(١) كثير من ألفاظ هذه القافية في هذا المقطع منتهية بنون التوكيد الخفيفة فوقفنا عليها بالفتحة كما يُوقف على المنوّن تنوين الفتحة، وكذلك في مواضع أخرى كثيرة من الملحمة.

إنّــي عَــرَفْــتُ مــكــانَــهُ مــتــنــائــيــا(١)
وطــريــقُــهُ مــعــروفــةٌ دانَــتْ لِــيــا
مُــرهُــمْ يــعــودُوا عَــوْدَهُــم، هَــيّــا هَــيــا»(٢)

«جلـجـامـشٌ» يـتـلـو وقـد سَـمِـعَ الـكـلامْ:
«يـا قـومُ..! هيّـا فـارجِـعُـوا، طـالَ الـمُـقـامْ
وعـلـى غـيـابـي فَـلْـتَـظَـلُّـوا فـي وئـامْ
وعـلـيـكُـمُ مـا غِـبْـتُ عـنـكُـمُ بـالـسَّـلامْ»

سـمِـعَ الـشُّـيـوخُ كـلامَـهُ مـتـأثـريـنْ
حـثّـوا خـطـاهُ عـلـى الـمُـضـيِّ مُـشـجِّـعِـيـنْ:
«سِـرْ فـي الـطَّـريـقِ مُـحَـرَّمـا «شَـمْـشٌ» حـمـاكَ تـوسّـمـا
هُـوَ كـاتـبٌ لَـكَ أن تـرى مـا فُـهْـتَ فـيـهِ مُـقَـدَّمـا
لا تـركُـنَـنَّ لـقـوَّتِـكْ
سـدّدْ خـطـاكَ لـضـربـتِـكْ
«إنـكـيـدُ» مـانـعُ عـثـرتِـكْ
يـمشي أمامَكَ في الطّريق لكي يَصُونْ..
عَـرَفَ الـطَـريـقَ إلى حَـواوا مـن سـنـيـن..
فـي غـابـةِ الأرزِ الـمُـمَـنَّـعـةِ الـحـصـيـن
شـهـدَ الـمـعـاركَ حـافِـظًـا كـلَّ الـفـنـون

(١) مكانه: مكان حواوا.
(٢) هَيا: حرف نداء للتنبيه.

دَعْـهُ لـيـحـمـيَ خِـلَّـهُ ولـهُ يُـعـيـن
فـوقَ الـمـصـاعـبِ عـابـرًا بـكَ كـي تَـهـونْ

إنّـا أَطَـعْـنـا قـولَـكَ الـمـتـقـدِّمـا
والآنَ جـاءَ الـدّورُ دَوْرُكَ فـافـهـمـا»

مع الأمّ ننسون

«جـلـجـامـشٌ» فـمَـهُ فَـتَـحْ:
«إنـكـيـدُ»، يـا خِـلّا وَضَـحْ!»
«هـيّـا إلـى «إيـجـالَ مـاخَ» الـمـعـبـدِ[1]
بـالأمِّ «نـنـسـونَ» الـحـكـيـمـةِ نـبـتـدي
فـلـعـلَّـهـا وبـعـلـمِـهـا
يـهـدي خُـطـانـا نـصـحُـهـا»
أَخَـذا الـمـسـيـرَ مُـصَـمِّـمَـيْـنِ يـدًا بـيَـدْ
ولـمـعـبـدِ «الإيـجـالِ» كُـلُّـهُـمـا قَـصَـدْ،[2]
وإلـى مُـقـامٍ فـيـه «نـنْـسـونٌ» عَـمَـدْ،
«جـلـجـامـشٌ» فـي حـضـرةٍ مـنـهـا قَـعَـدْ:
««نـنْـسـونُ»! هـا أنـا جـئْـتُ أُبـدي مـا أجـدْ
فـي رحـلـةٍ لـمـكـان «خـمـبـابـا» الأشـدْ
مـا كـان يـعـرفُ مـا الـنّـهـايـةُ مـن أحَـدْ
وطـريـقُـهُ هـل - يـا تـرى - يـومًـا تُـسَـدْ

وإلـى الـيـومِ الّـذي فـيـهِ أَعُـودْ
وإلـى الـيـومِ الّـذي فـيـهِ أَرُودْ

---

(١) إيجال ماخ أو إيجال ماه: قصر عظيم في أوروك وهو مسكن الإلهة ننسون.
(٢) الإيجال: إيجال ماخ اختصارًا.

غـابـةَ الأَرْزِ لـخـمـبـابـا الـلّـدود
وإلـى الـيـومِ الـذي أُرْدِيـهِ
ذَيّاكَ الشَّديد
أَقْـتُـلُ الـشـرَّ ويـفـنـى مِ الـوجـود
- إنَّ «شـمـشًـا» لـيسَ يـرضـى أن يـسـود -
عـنـد «شـمـشٍ» فـلـتـصـلّـي لـنـجـاتـي
فأعود»

دَخَلَتْ «نَنْسونُ» في خِدرٍ لها   وارتَدَتْ ثوبًا يُحَلّي جسْمَها
وعلى الصّدرِ تدلّى حَلْيُها   وفشا العِطرُ وتاجتْ رأسَها[1]

سارَتْ على دَرَجٍ تُصَعِّدُ مُقلَتَيْها
ولِـ«شَمشَ» أَحرَقَتِ البخورَ كما عليها
وبماءِ قُربانٍ له رفعَتْ يَدَيْها
كي تُرسلَ الصَّلَواتِ، ضارعةً، بفيها:
«قلبًا وهبْتَ ابنى فلِمْ هُوَ باضطرابْ؟»
واليومَ قد حفَّزَتَهُ فمضى لِغابْ
في رحلةٍ كبرى إلى وَحْشِ الهضاب[2]
للموتِ يمضي ليسَ يعرِفُ ما الحسابْ
وطريقُهُ مجهولةٌ هل مِن مآب؟
وإلى اليومِ الذي فيهِ يَعُودْ
وإلى اليومِ الذي فيهِ يَرُودْ

---

(١) تاجت رأسها: وضعت عليه التاج.
(٢) وحش الهضاب: إشارة إلى إقامة خمبابا الوحش في هضاب الأرز وجباله.

غـابـةَ الأَرْزِ لـ «خـمـبـابـا» الـلّـدودْ
وإلـى الـيـومِ الّـذي يُـر ديـهِ ذَيّـاكَ الـشّـديـد
يـقـتـلُ الـشـرَّ فـيُـمْـحَـى مِ الـوجـودْ
- يا لَـ «شَمْشٍ» يكرهُ الباغي الحقودْ! -
وإلـى الـيـومِ الّـذي فـيـهِ يـعـودْ
فـلـتـكـنْ «آيـا» لـذكـراهُ الـودود[1]
ولْـيَـكُـنْ فـي الـلّـيـلِ مـحـروسَ الـحـدودْ»

[بَـعْـدَ أنْ أدّتْ صـلاةً بـطـهـورْ]
وانـتـهـت «نَـنْـسـونُ» مـن حـرقِ الـبـخـورْ. .
والـوصـايـا حَـمَّـلَـتْ «إنـكـي» الـقـديـر
حيثُ قالَتْ: «لَسْتَ نَسْلي، يا نصيرْ!
بـيـدَ أنّـي صِـرْتَ مـنّـي، لـن تـبـورْ[2]
أنـتَ شـيءٌ رائـعٌ، فـذٌّ جـديـرْ
مـثـلُ رُهـبـانٍ لـكَ الـقَـدْرُ الـكـبـيـر
هـاكَ عِـقـدًا قـدّسـوهُ لـلـصُّـدورْ
[فَـهْـوَ حـامٍ دافـعٌ عَـنْـكَ الـشُّـرورْ

«وجـلامـشًـا» لا تَـنْـسَـهُ كـنْ حـامـيـا
هُـوَ طـالِـبٌ أمـرًا عـزيـزًا سـامـيـا
أنـتَ الـصّـديـقُ، ولا إخـالُـك نـاسـيـا

(١) آيا: عروسة الإله شمش.
(٢) لن تبور: لن تهلك.

والـجُـرْحَ ضـمّـدْ كـن طـبـيـبًـا آسـيـا
«خـمـبـابَ» جـبّـارٌ فـكـنْ كـنْ ضـاريـا
لا تَـتْـرُكَـنْ «جـلـجـامـشًـا» كـن راعـيـا
كُـنْ لـلـصّـديـقِ كـسـاءَهُ، كُـنْ هـاديـا
لا يـهـدأَنْ حـتّـى يُـمـيـتَ الـعـاتـيـا
فَـاصْـدُقْـهُ يـا «إنـكـي» وكُـنْ لَـهُ شـاريـا
لا تَـتْـرُكَـنْـهُ فـي هَـواهُ واهـيـا
بـالـحـكـمـةِ الـتـي تَـعْـرِفـانِ تَـدارَيـا
هـيّـا اذهَـبـا وَبِـصَـوْنِ «شـمـشَ» تـحـامـيـا]

مع حارس الغابة

[«إنـكـيـدُ» سـارَ وسـارَ «جـلـجـامـي» وراهْ
والأرزُ قـد سـارا إلـيـهِ لـيـبـلُـغـاهْ]

عـشـريـن سـارَ كـلاهُـمـا، وكـلاهُـمـا مـتـلازمـانْ[1]
وقـفـا لـيـتّـخـذا مـعًـا زادًا عـسـى يـتـبـلّـغـان[2]

حـتّـى إذا سـارا مـعًـا بـعـدَ الـطّـعـامِ مُـيَـمِّـمـيـنْ
عـشـرًا وعـشـريـنَ انـقـضـتْ فـإذا بـه لـيـلٌ يَـبـيـن
حـطّـا الـرّحـال وصـمّـمـا أنْ يـسـتـريـحـا بـعـضَ حـيـن

فـي كـلِّ يـومٍ بَـدَّدا خـمـسـيـنَ مـن تـلـك الـصِّـعـابْ
حـتّـى إذا سـارا مـعًـا شـهـرًا ونـصـفًـا كـالـسَّـرابْ
- أمّـا إذا مـا حـقّـقـا كُـنَّ الـثّـلاثـةَ فـي الـحـسـاب[3] -
حـفـرا هـنـاك وقـرّبـا بـئـرًا لـ «شـمـشٍ» فـاسـتـجـابْ[4]

---

(١) عشرين: عشرين ساعة مضاعفة وهي مقياس بابلي للمسافات.
(٢) يتبلّغان الزاد: يأكلان منه البُلغة وهي ما يكفي من الطعام لاستمرار العيش.
(٣) كنَّ: الضمير يعود إلى أيّام الشهر والنصف، والثلاثة: ثلاثة أيّام أي إنّهما قطعا مسيرة شهر ونصف في ثلاثة أيّام.
(٤) قرّبا بئرًا: حفراها وجعلاها قربانًا.

مَـضَـيـا ثـلاثًـا يَـعْـبُـرانْ والـبـئـرَ دومًـا يـنـقُـبـانْ
وكـذا ثـلاثًـا يـقـطـعـانْ حـتّـى إذا ظـنّـا الأمـان
فـإذا هـمـا مُـتَـوَقِّـفـانْ والأرزُ فـي ذاكَ الـمـكـانْ

بـوّابـةٌ تـبـدو هُـنـاكْ مـسـحـورةٌ، مَـنْ لا يَـراكْ؟
ولـهـا خـفـيـرٌ واقـفٌ حَـرَسًـا ولا يـبـدي الـحِـراكْ
عـيْـنـاهُ فـيـهـا رَهْـبَـةٌ وإزاءَهُ نُـصِـبَـتْ شـراك

«جـلـجـامـشٌ» عـرفَ الـرُّهـابْ ولـحـارسٍ حَـسَـبَ الـحـسـابْ
لـبـسَ الـمـخـافـةَ رَهْـبـةً لَـكـأَنـهـا بـعـضُ الـثِّـيـابْ

«إنـكـيـدُ» قـالَ لـهُ: «اتّـئـدْ، «جـلـجـامِ» لا .. لا تَـرْتَـعِـدْ؟
أنـتَ الـفـتـى كـلُّ الـفـتـى أنـتَ الـمـدافـعُ عـن بـلَـدْ

كـالـثّـور أنـتَ مـن الـسـمـاءْ «آنـو» أرادَكَ كـالـقـضـاءْ
هـيّـا عـلـيـهِ، ولا تـخـفْ، يـرعـاكَ «شـمـشٌ» لا مِـراء
هـلّا تـذكّـرتَ الـمـقـالْ بـ«أروكَ» مـعْ كـلِّ الـرِّجـالْ
فـانـهـضْ وجـابـهْ لا تـخـفْ تـقـتـلْـهُ حـتـمًـا لا مَـحـالْ
هـيّـا انـطـلـقْ، لا تـخـشَـيَـنْ وإلـيـهِ يـمّـمْ واقْـرُبَـنْ
مـن غـابـةِ الأرزِ اقـتـربْ وعـلـيـهِ سـيـفًـا أَشْـهِـرَنْ

وجـواشـنًـا زَرَدًا تَـعَـوَّدَ أن يـضـعْ
والآنَ - يـبـدو - سـتّـةٌ مـنـهـا خَـلَـعْ

منها الّتي قد مُزِّقَتْ، لا يُنْتَفَع[1]
لم يبقَ إلّا واحدٌ وبهِ التفعْ
[هِيَ فرصةٌ جاءَتْ إليكَ فلا تُضِعْ»]

بلغَتْ حماستُهُ المَرامْ لِسَماعهِ هذا الكلامْ
وانقضَّ كالثّورِ المُثارِ وكلُّهُ نارٌ ضِرامْ
فتراجعَ الحامي الضروسُ، وكلُّهُ خوفٌ عُرامْ
مستنجدًا بصُراخِهِ: «خمبابَ» ذا الموتُ الزُّؤام

[وتقابلا كلٌّ على الخَصْمِ انطَبَقْ
وتماسكا فتبادلا بعضَ القَلَقْ
جَبَلانِ ينقضّانِ لكنْ في حَمَقْ
واستشريا غضبًا يضيقُ بهِ النَّزَقْ

وتباعدا فالسَّيفُ ممنوحُ المجالْ
وتبادلا نظرًا، أَبَرْقٌ أم نبالْ؟
هذا يخافُ، وذاكَ يرجُفُ من قتالْ
كلٌّ لهُ ما يعتريهِ من سُؤالْ!

«جلجامشٌ» رَفَعَ الحُسامَ بهِ هوى
وسقى خفيرَ الأرزِ من ذاكَ الدّوا
فهوى سريعًا مثلما الجبلُ انطوى
فارتاعَ أهلُ الغابِ من صوتٍ عوى

---

(١) لا ينتفع: لا ينتفع بها.

بَـيْـنـا هـمـا مـا بـيـنَ شـدٍّ واقـتـحـامْ
كـانَ الـفـتـى «إنـكـيـدُ» يـزدادُ احـتـدامْ
ويـعـالـجُ الـبـابَ الـذي لا . . لا يُـرامْ
لـتُـفَـكَّ أقـفـالٌ لـه سُـحِـرَتْ جِـسـامْ

والـبـابُ قـد دانـتْ لـهُ أقـفـالُـهُ
وتـمـزَّقَـتْ مـنـهُ بـهِ أحـبـالُـهُ
وهـوى كـمـا الـجـبّـارُ، هـذي حـالُـهُ
لـكـنَّ «إنـكـيـدو» وَهَـتْ أوصـالُـه
يـمـنـى يـديـهِ تـيـبَّـسـت أعـصـابُـهـا
شُـلَّـتْ كـمـا لـو قُـطِّـعَـتْ أسـبـابُـهـا
وغـدا بـواحـدةٍ يَـخـيـبُ طِـلابُـهـا
أو مِـثـلَ قـافـلـةٍ قـضـى أربـابُـهـا]

ومـضـى إلـى جـلـجـامشٍ، مَـدَّ لـهُ الـكـلام:
«دَعْـنـا فـلا نـمـضـي إلـى الـغـابِ الـحـرام[1]
شُـلَّـتْ يـمـيـنـي لـم تـعـدْ طـوعَ الـهُـمـام»[2]
فـأجـاب «جـلـجـامـي» وقـد فـهِـمَ الـمَـرام:

«لا . . لا تكُنْ مثلَ الضِّعافِ على الدُّروبْ
كَـثُـرَتْ صِـعـابٌ ذُلِّـلـت مـنـهـا الـكـروبْ

(١) الغاب الحرام: أي المحرّمة على الناس لحماية خمبابا لها.
(٢) الهُمام: يقصد عقله الذي يهمّ ويعزم.

يا أيُّها الخِلُّ الذي خَبِرَ الحروبْ!
وجلا بكلِّ معاركِ الهَوْلِ الخطوبْ!

الْمُسْ يدي تغدُ المنايا لا تهابْ
واقرُبْ إلى جنبي، ألسْتَ على صوابْ؟
فإذا يمينُكَ لا يظلُّ بها عُصابْ[١]
وإذا فؤادُكَ لا يخالجُهُ اضطرابْ

لا.. ما حسِبْتُكَ ها هُنا تبقى رهينا
دَعْنا إلى الغاباتِ نهبِطْ كي نكونا[٢]
من حرب هذا الحارسِ الوغدِ انتهينا
لن تُلْجَمَ العزماتُ فيكَ ولن تهونا
والموتَ تنسى، لن تكونَ لهُ حزينا
وأَعِدَّ للأهوالِ عُدَّتَها قمينا

والخلُّ يحميهِ الخليلُ مِنَ الهوانْ
مَن يمضِ قُدّامَ الصّديق فللأمان
أو يسقُطا فاسمًا عظيمًا يَحْمِلان»

إلى خمبابا

وإلى الـجـبـالِ الـخُـضْـرِ قـد وَصَـلا مـعـا
هَـبَـطَ الـسُّـكـونُ وبـالـسُّـكـونِ تَـلَـفَّـعـا
لـلـغـابـةِ الـخـضـراءِ تـلـك تَـطَـلَّـعـا
شَـهِـدا ذرى الأرزِ الـشَّـمـوخِ مُـشَـرَّعـا[1]
رَأيـا طـريـقًـا يـاسـرًا فَـتَـتَـبَّـعـا
مـن حـيـثُ «خـمـبـابـا» يـسـيـرُ مُـقَـنَّـعـا

رأيـا جـبـالَ الأرز عَـرْشَ الآلـهَـهْ
وهـنـاكَ «أرنـيـنـي» تـنـامُ عـلـى دَعَـهْ[2]
والأرزُ يـمـشـي والـسّـفـوحَ عـلـى سَـعَـهْ

يـا أرزُ مـا أَهـنـا الـظِّـلالَ الـوادِعَـهْ
أدغـالُـهـا مَـخـفِـيّـةٌ هِـيَ ضـارعَـهْ

[والـبـاسـقـاتُ الـعـالـيـاتُ مُـروِّعَـهْ
أغـصـانُـهـا مُـمـتـدَّةٌ ومُـجَـمَّـعَـهْ
أوراقُـهـا خُـضْـرٌ هـنـاكَ مـوزَّعَـهْ

(١) مشرّعًا: منصوبًا كالشراع وهو الأرز.
(٢) أرنيني: هي الإلهة عشتار روح الغابات ومانحة الشذا والطيب للأزهار والرياحين.

حَجَبَتْ خيوطَ الشَّمس فَهي مُبَرْقَعَه
سارا بها في كلّ شِبْرٍ مَوْقِعَهْ[١]

حتّى إذا تَمَّ النَّهارُ فَوَدَّعاهْ
حطَّ الظّلامُ طيوفَهُ فاستوقفاهْ
واستروحا حينًا إلى أنْ شَيَّعاهْ
وخِلالَ ليلٍ أسودِ الجلبابِ ساهْ
شَهِدَ الفتى «جلجامشٌ» حُلُمًا أتاهْ
وأتى إلى «إنكيدُ» يَرْويهِ فَفاهْ:
««إنكيدُ» ذا حُلُمي إليكَ كما أراه:]
ثورًا عتيًّا قد قَبَضْتُ على الفلاه
ثورًا يخورُ وتضربُ الدّقعا يداه
فإذا الغُبارُ يثورُ في أقصى مَداه
وإذا السّماءُ مُحَجَّبٌ عمّا سِواه
فهرَبْتُ من خَوْفٍ أُفَتِشُّ عن نجاه
لكنّني ناءَتْ على خَصْري قِواه..
وفُجاءَةً خوفي غدا أَمْنًا رِداه[٢]
والزّادَ أطعَمَني وشرَّبَني المياه»
فأجابَ «إنكيدو» وقد وَضَحَتْ رُؤاه:
«ما الثَّورُ هذا ما رأيْتَ بلِ الإلَهْ
هو ذاك «شَمْسٌ» ما رأيْتَ على الفلاه

(١) موقعه: أي مع حيوان زاحف أو وحش هائج.
(٢) رداه: رداؤه أي إنّه أبدل ثوب الأمن بثوب الخوف فُجاءَة.

وإذا الـشّـدائـدُ أظـلَـمَـتْ فَـهْـوَ الإيـاه[١]
هـوَ ذاكَ حُـلْـمُـكَ يـا صـديـقُ كـمـا أراهْ»
[لـيـلٌ مـضـى وتَـلَـتْـهُ أيّـامٌ صِـعـابْ
وتَـضـاعَـفَـتْ سـاعـاتُـهُـمْ فـوقَ الـنِّـصـابْ
وخـلالَ لـيـلٍ أسـودٍ داجـي الـعُـبـابْ
نـامَـتْ عـيـونُ الـرّكـبِ فـيـه عـلى ضـبـابْ]
شَـهِـدَ الـفـتـى «جـلـجـامشٌ» حُـلُـمًـا رُهـاب:

««إنـكـيـدُ» إذ كـنّـا نـسـيـرُ عـلى الـطّـريـقْ
بـيـنَ الـجـبـالِ الـشُّـمِّ نـسـلُـكُ فـي مَـضـيـق
سَـقَـطَ الأَشَـمُّ عـلى كـلَـيْـنـا، يـا رفـيـق![٢]
وإذا كـلانـا مِـثـلُ ذِبّـانِ الـحـريـق»

إبـنُ الـبـراري ذاكَ «إنـكـيـدو» يـقـولْ:
«حُـلُـمٌ جـمـيـلٌ مـا رأيْـتَـهُ يـا جـلـيـل!
ذاكَ الأشـمُّ أراهُ «خـمـبـابـا» الـمـهـول
ولـسـوفَ نـقـتُـلُـهُ عـلى هـذي الـتُّـلـول
وعـلى الـفـلاةِ نُـحـيـلُـهُ بـعـضَ الـطُّـلـول»
عـشـريـنَ سـارَ كـلاهـمـا عـنـدَ الـصّـبـاحِ عـلى أمـانْ[٣]
وقـفـا لـيـتّـخـذا مـعًـا زادًا عـسـى يَـتَـبَـلَّـغـان

(١) الإياة: الشمس.
(٢) الأشم: الجبل العالي.
(٣) عشرين: أي عشرين ساعة مضاعفة.

حــتّــى إذا ســـارا مـــعًـــا بـعـدَ الـطَّـعـامِ عـنِ الـيـمـيـنْ
عـشـرًا وعـشـريـنَ انـقـضَـتْ فـــإذا بـــهِ لـــيـــلٌ يَـبـيـن
حَـطّـا الـرِّحـالَ وصَـمَّـمـا أن يـسـتـريـحـا بـعـضَ حـيـنْ
حَـفَـرا هُـنـاك عـلـى الـهـضابْ بـئـرًا لِـ «شَـمْـشٍ» فـاسـتـجابْ
فـإذا بـ«جـلـجـامـي» ارتـقـى تـلًّا شـمـوخًـا فـي الـسّـحـابْ

ولِـ «شَـمْـشَ» قـد وَضَـعَ الـطّـعـامْ وإذا بـــهِ زادٌ تَـــمـــامْ
وهُـــنـــاكَ «إنـــكـــيـــدو» رأى حُـلُـمًـا تـراءى فـي الـمـنـامْ

فـارتـاعَ «إنـكـيـدو» ارْتَـعَـدْ وعـلـيـهـمـا هَـطَـلَ الـبَـرَدْ
وكـسُـنْـبُـلِ الـحـقـلِ الـحَـصِـدْ «جـلـجـامـشٌ» ذَقْـنًـا سَـنَـدْ
مـن فـوق ركـبـتِـهِ رَقَـدْ
فـارتـاحَ مـن وعْـكِ الـسَّـفَـرْ والـنّـومُ أمـتَـعُ لـلـبـشـرْ
حـتّـى إذا الـلـيـلُ انـقـضـى نِـصـفًـا تـنـبَّـهَ واحْـتَـضَـرْ[1]
رَفَـعَ الـمـلـيـكُ جـبـيـنَـهُ فـتـقـشَّـعَـتْ زُمَـرُ الـكَـدَرْ:
«خِـلِّـي! تُـرى، نـاديـتَـنـي؟ فَـتَـيـقَّـظَـتْ فـيَّ الـفِـكَـرْ
أَلَـمَـسْـتَـنـي؟ أنـا خـائـفٌ، هـل فَـوْقَـنـا ربٌّ عَـبَـرْ؟
أطـرافـيَ انـشـلَّـتْ هـنـا؟ أَمْ أَنّـهُ بـعـضُ الـخَـدَرْ
حُـلُـمٌ جـديـدٌ ثـالـثٌ لـي قـد تـراءى وانـدثـر
حُـلُـمٌ مُـخـيـفٌ، يـا لَـهُ؟ شـاهَـتْ لـهُ كـلُّ الـصُّـوَر
رعـدٌ يُـزَمْـجـرُ فـي الـسَّـمـا والأرضُ هُـزَّتْ فـي الأَثَـرْ

(١) احْتَضَرَ: تيقّظ، صار حاضرًا.

هبطَ الظّلامُ مُعَمَّمًا، ... والضّوْءُ يا لهُ من خبرْ!
والبرقُ يلمعُ من هُنا ... والنّارُ يُضرِمُها الشَّرزْ
بالغيمِ تكتظُّ السّما ... والموتُ شيءٌ كالمطَرْ
لكنّما البرقُ اختفى ... والنّارُ أطفأَها القدَرْ
وكأنّما هذي السّما ... ذرّتْ رَمادًا فانتثرْ
هيّا إلى سهلٍ نُقِمْ ... فيهِ الحديثَ المخْتَصَرْ»
[«إنكيدُ» أَرْهَفَ سَمْعَهُ ... ولسانُهُ كشفَ العِبَر:
«تلكَ المشاهدُ كلُّها ... رمزٌ لـ«خمبابا» الأَشَرْ
أمّا التّلاشي كلُّهُ ... فالشرُّ فيهِ ينْدَثِرْ[1]
والنّصرُ فيكَ رأيْتُهُ، ... «خمبابَ» شرّيرٌ عَثَرْ
هذي مرامي ما رأيـ ... ـتَهُ في منامِك فانتَظِرْ»]

مصرع خمبابا

مَـضَـيـا مـعًـا فـي يـقـظـةٍ «جـلـجـامـشٌ» قَـطَـعَ الـشَّـجَـرْ
و«حـواوَ» قـد سَـمِـعَ الـضَّـجـيـ جَ فـراح يـسـتـجـلـي الـخَـبَـرْ:

«مَـنْ ذا يـعـكِّـرُ صـفْـوَ أشـ جـاري الـتـي كَـبُـرَتْ هـنـا؟
مَـنْ يَـقْـطَـعُ الأرزَ الـشَّـمـو خَ؟ ومَـنْ هُـنـا غـيـري أنـا؟»
الـربُّ «شَـمْـشٌ» صـاحَ مِـنْ أعـلـى الـسّـمـا: «هـيّـا بـنـا
لا تـجـزعـا، لا تـخـشـعـا هـيّـا إلـيـهِ وأعـلِـنـا
حـربًـا ضـروسًـا، لا ونـى»

[«جـلـجـامـشٌ» سَـحَـبَ الـحُـسـامْ وبـزَنْـدِهِ الأقـوى ضِـرامْ
صـوتٌ يُـجـلـجِـلُ صـارخًـا: «يـا وغـدُ خُـذْ مـنّـي الـحِـمـام»

فـارتـاعَ «خَـمـبـابـا» ارتـعـدْ لـكـنَّـهُ فـورًا عَـمَـدْ
لـلـسّـيـفِ، سَـلَّـهُ مـا قَـعَـدْ واسـودَّ مـن فَـرْطِ الـكَـمَـدْ
أيَـذُلُّـهُ أحـدٌ أحـدْ!؟

بَـطَـلانِ فـي سـاحِ الـوغـى كـلٌّ يُـحـاولُ مـا بـغـى
حـتّـى إذا الـطّـاغـي طـغـى والـكـلُّ مـن هـولٍ رغـا[1]

---

(١) رغا: صوّتَ بضجيج.

والسَّيفُ يضرِبُ لا يُرَدْ
صَرَخا معًا فاهتزّ من هولِ الصُّراخِ جهنّمُ
واهتزّتِ الأشجارُ أو هِيَ للصُّراخِ تَكَلَّمُ
حتّى إذا سيفٌ خَمَدْ

نبذا السّيوفَ تماسكا جبلين كي يتعاركا
شدَّ الغريمُ على الّذي قُدّامَهُ فتشابكا
أسدٌ يُجاذِبُهُ أسدْ

شدٌّ ووثبٌ واضطرابْ كرٌّ وفرٌّ واحترابْ
يا هَوْلَ ما كانا بِهِ! ولِمَن تُرى خُتِمَ الحسابْ؟
أيٌّ هو البطلُ الأشدْ؟

«إنكيدُ» ساندَ خِلَّهُ وَسَقاهُ ماءً، عَلَّهُ
وانقضّ فوقَ عدوِّه لكنَّهُ قد شلَّه[1]
يا ضربةً منها جَمَدْ

«جلجامشٌ» شَهِدَ المصيرْ «إنكيدُ» أشبهُ بالأسيرْ
ملقًّى هنالك ذاهلٌ أوَليسَ مَن كانَ القديرْ
كانَ الهُمامَ فقد قَعَدْ]

---

(١) شلّه: طرده.

[الدَّمْعُ منهُ تحدَّرا والعزمُ منهُ تَبَعْثَرا[١]
هذا المصيرُ مقدّرٌ هل ينضوي؟ أنا لا أرى
«شَمْشُ» الإلٰهُ بهِ الرّجاءْ فَلْيَبْتَهِلْ لهُ بالدُّعاءْ
كيما ينالَ المبتغى: يا «شَمْشُ» يا ربَّ السَّماءْ

الخيرُ مطلبُكَ العظيمْ والشرُّ ذيّاكَ الوخيمْ
في حلبةِ الحربِ التي هي ما تَرى، وبها نُقيمْ

هلّا نَصَرْتَ خِيارَكا! هلا حصدْتَ حصادَكا!
والشرُّ يَفْنى لا يُرى، هذا الرّجاءُ مضى لكا

إنّي نصيرُ مشيئتِكْ إنّي تبيعُ هدايتِكْ
تلكَ الدّروبُ عرَفْتُها وقَطَعْتُها برعايتِك»][٢]

«شمشٌ» أصاخَ إلى الدُّعاءْ فَتَفَجَّرَتْ ريحُ السّماءْ
ريحٌ دَبُورٌ، مثلُها ريحٌ تَفَجَّرُ في الفضاء
ريحٌ جَنوبٌ لا تني، ريحٌ شَمالٌ كالقضاءْ
إعصارُ ريحٍ باردٌ والعصفُ يأتيهِ مَضاء[٣]
ريحٌ شديدٌ لفحُها ريحٌ تُزَمْجِرُ في العَراءْ
تلتفُّ حولَ عدوِّهِ فيصيحُ «خمبابا»: «الرَّجاء»

(١) منه: أي من جلجامش.
(٢) ما بين المعقوفتين هاتَينِ هو من لوح تالفٍ أكثره فحصلت مداخلات من الناظم.
(٣) يأتيه: يأتي خمبابا، المضاء: النّفاذ.

ما عادَ يعرفُ دربَهُ   أَوْ أَنْ يعودَ إلى الوراء
مستسلمًا لمصيرِهِ:   «يا ربُّ! أعْتِقْني وِطاء[1]
والأرزُ أنتَ قطَعتَهُ   ولكُمْ سأجعلُهُ البناء»
لكنَّ «إنكيدو» أبى: «يا خِلُّ! أقوالٌ هُراء»

[«جلجامشٌ» أهوى على   «خمبابَ» يسقيهِ المنونْ
بالسّيفِ أهوى، إنّهُ   برقٌ تحاشاهُ العيون
«إنكيدُ» أعملَ رُمحَهُ   واختارَ للرُّمْحِ الوَتين
فانهارَ جبّارٌ، هوى،   وكما جبالٌ لا تكون
صوتٌ يزمجرُ في الفلا   كالرّعدِ محصورًا سنين
لكنْ تلاشى صوتُهُ   والشّرُّ أشلاءٌ تهون
وانزاح حُزْنُ كليهما   وبدا السُّرورُ على الجبين]

غضبة عشتار

في أوروك

[عـــادا مـــعًـــا لـــمَـــواطـــنٍ هـــيَ عـــنـــدَهُـــمْ شـــيءٌ ثـــمـــيـــنْ
«بـــأُروكَ» قـــد حـــظـــيـــا مـــعًـــا بـــحـــفـــاوةٍ فـــوقَ الـــظُّـــنـــونْ
واســـتُـــقْـــبِـــلا لـــكـــأنّـــمـــا ربٌّ إلـــــهٌ ذو شـــــؤونْ
آتٍ يـــــزورُ عـــــبـــــيـــــدَهُ فـــتـــجـــمَّـــعُـــوا هُـــمْ يَـــسْـــجـــدونْ
أقـــواسُ نـــصـــرٍ زُيِّـــنَـــتْ وشَـــوارعٌ يـــا لَـــلْـــفُـــتـــونْ!
عـــرشٌ لـــجـــلـــجـــامِ اســـتـــوى مُـــتـــهـــاديًـــا فـــوقَ الـــمـــتـــون[1]
والـــنّـــاسُ كـــلٌّ مُـــنْـــشِـــدٌ أو عـــازفـــونَ وراقـــصـــونْ
كـــلٌّ يُـــريـــدُ عـــنـــاقَـــهُ لـــكـــنّـــهُـــمْ مُـــتَـــهَـــيِّـــبُـــونْ
حـــتّـــى إذا الـــيـــومُ انـــقـــضـــى وَهُـــمُ بـــهِ مـــتـــفـــائـــلـــونْ
«جـــلـــجـــامـــشٌ» يـــمـــضـــي إلـــى عـــرشٍ بـــنـــاهُ الأوّلـــون
يـــرتـــاحُ فـــيـــهِ ويـــنـــتـــهـــي مـــمّـــا عـــراهُ مـــن شـــجـــون]

فـــي الـــبَـــدْءِ رأسًـــا قـــد غَـــسَـــلْ والـــشّـــعـــرَ مـــنـــهُ قـــد سَـــدَلْ
وســـيـــوفُـــه مُـــسِـــحَـــتْ فـــإذ هـــيَ مـــثـــلُ بـــرق قـــد مَـــثَـــلْ
ونـــضـــا الـــثّـــيـــابَ وبـــيـــئـــةً فـــأتـــاهُ ثـــوبٌ مُـــغْـــتَـــسَـــلْ
وعـــبـــاءةً ثـــمَّ ارتـــدى وبـــخَـــصْـــرِهِ طَـــوْقًـــا فَـــتَـــلْ
بـــالـــتّـــاجِ حـــلّـــى رأسَـــهُ فـــإذا بـــعـــشـــتـــارٍ تُـــطِـــلْ:

---

(١) المتون: الظهور، والمقصود أنّهم حملوه على عرشٍ فوقَ ظهورهم وطافوا به في المدينة.

«جلجامِ، يا نسلَ الإله!   «عشتارُ» أنتَ لها النجاهْ
هيّا إليَّ وكُنْ - فتى! -   عِرسي على مرّ الحياه
هَبْني ثمارَكَ مِنحةً   وأنا لكَ الزّوجُ الإله

ستسيرُ فوقَ المركبهْ   من لا زُورْدٍ وَجُمانْ
عَجَلاتُها هيَ مُذْهبَهْ   وقرونُها منْ كَهْرُمانْ
وتقودُها جُرْدٌ سوا   بقُ عَفْرَتَتْها العاصفَهْ[1]
بشذا عطورِ الأرز أنـ   ـتَ مُضَمّخٌ فلتعرفهْ
وبهِ ستدخلُ بيتَنا،   حَسْبي أنا أنْ تكنُفَهْ[2]
ومِنصّتي قَدَمَيْكَ تحـ   ـمِلُ بلْ تُقَبِّلُ بالشَّفَهْ
ولك الملوكُ سينحنو   نَ ويركعونَ مُلاطَفَهْ
يضعونَ غَلَّةَ سَهْلِهِمْ   وجبالِهم لكَ مُطرفه[3]

وستحملُ العَنزاتُ عنـ   ـدَكَ تَوْأَمًا ومثالِثا
وكذا النّعاجُ مثانيًا   والثورُ يبقى الحارثا
والخيلُ عندَكَ سُبَّقٌ   يُبْعِدْنَ عنكَ كوارثا»

---

(١) عَفْرَتَتْها: جعلتها كالعفاريت.
(٢) تكنفه: تصونه وترعاه.
(٣) مُطْرَفَه: حديثة.

فأجاب «جلجامي» وقال: «عشتارُ» أحسنتِ المقالْ
ماذا أراني واهبًا لمقامِكِ الضافي الجَلالْ
ماذا أقدِّمُ مِنْحَةً؟ اَلزَّيْتَ أم خبزَ العيالْ؟
أم أيَّ أثوابٍ تليقُ بقدِّكِ التَّمِّ الجمالْ؟
ماذا أراني مانِحًا «عشتارَ» زوجتيَ الحلالْ؟
[من أينَ لي زادٌ أُقَدِّمُ؟ ما طعاميَ للإلَهْ!
لا.. ما شرابي سائغٌ لا.. إنَّ خمرَكِ لا سواه][1]

وأنا - تُرى - مالي بكِ؟ إنّي مخالفُ دربِكِ
ما أنتِ إلّا مَوقِدٌ في البردِ يُطْفأُ جمرُكِ
ما أنتِ إلّا كوّةٌ للرّيحِ تعصِفُ قربَكِ
ما أنتِ إلّا قلعةٌ يقضي الحُماةُ ببابكِ
ما أنتِ إلّا حُفْرةٌ خبّأتِ فيها غدْرَكِ
ما أنتِ إلّا القارُ قد لوّثتِ منهُ خِدنَكِ
ما أنتِ إلّا قُربَةٌ بلّلْتِ منها عِرسَكِ

ما أنتِ إلّا لَبْنَةٌ بجدارِ سورٍ مِنْ صخورْ

(١) في البيتين الموضوعين ضمن معقوفتين مداخلة من قبل الناظم لتسوية الفكرة إذ هي مشوّهة في أصل الألواح.

حَـــجَـــرٌ كـــريـــمٌ نـــادرٌ وبـحَـوْزَةِ الـخـصـمِ الـجـسـورْ
خِـــفٌّ جـــمـــيـــلٌ لائـــقٌ لـكـنْ يَـزِلُّ لـدى الـمـسـيـرْ
مـا صُـنْـتِ خِـلًّا مـخـلـصًـا أَبَـدَ الـزّمـانِ عـلـى الـدّهـور
بـــلْ أيُّ زوْجٍ مـــفـــلـــحٍ تُـبـقـيـنَـهُ؟ ذاتَ الـخـدور!
هـذي حـكـايـا مـن عـشِـقـتِ، فـضـائـحٌ، يـا لـلـشُّـرور!:

«تـمّـوزُ» زوجُـكِ بـالـجِـدادِ بـكَـيْـتِـهِ فـي كـلِّ عـامْ[1]
والـطـائـرُ الـشَّـقـراقُ قـد أغـويْـتِـهِ حـتّـى اسـتـهـام
والآنَ فـي الأغـيـاض يـصـرخُ: واجـنـاحـا!؛ يـا حـرام![2]
والـلـيـثُ قـد أحـبَـبْـتِـهِ فـأذقـتِـهِ الـمـرَّ الـزُّؤامْ..
ومـصـائـدًا لـه قـد نـصـبْـتِ، ومـا ارتـعـشْـتِ، ألـلـغـرام؟

وحِـصـانَ سَـبْـقٍ قـد عَـشِـقْـتِ أكـانَ ذلـكَ لـلـرّهـانْ؟
جـريًـا لـيـتـعـبَ فـي الـمـعـاركِ وهـو مـشـدودُ الـعِـنـان؟
وسـقـيـتِـهِ مـاءً وَبـيـئـا ثـمَّ أُرسـلَ لِـلـطّـعـان
ولأمِّـهِ «سـيـلـيـلِ» أحـزانٌ تـعـيـشُ عـلـى الـزمـان[3]
[حِـقـدًا قـدَرْتِ عـلـيـه لـم تَـنْـسَـيْ تـصـانـيـفَ الـهـوان[4]]

وكـذلـكَ الـراعـي نـصَـبْـتِ لـه الـشِّـبـاكَ مـن الـجَـمـالْ

(١) تموز: هو زوج عشتار وقد أرسلته إلى العالم الأسفل ثمّ راحت تبكي غيابه في كلّ عام، وهو إله النباتات الميت.
(٢) الأغياض: جمع غيضة مجتمع شجر على ماء.
(٣) سيليلي: وهي أم الحصان فرس إلهيّة.
(٤) قدرت: أي جعلت الحقد عليه قدرًا.

فـــاغـــتـــرَّ مَـــزْهُـــوًّا بـــحـــبِّ لكِ سِـيّـمـا بـعـد الـوصـال
ذبـــحَ الـــبـــهـــائـــمَ، والـــشِّـ ـواءُ مـقـدَّمٌ لـكِ كـي يـنـالْ
مـنـكِ الـرِّضـى بـعـد الـرِّضـى لـكـنَّ ذاكَ مـنَ الـمُـحـالْ
فـضـربْـتِـهِ فـمـسـخْـتِـهِ ذئـبًـا يَـهـيـمُ عـلـى الـجـبـال
وكـلابُـهُ تـنـهـالُ فـيـ ـهِ عَـضـوضـةً حـتّـى الـزّوال

وهـنـاك «إيـشـو» حـارسُ الـ ـبـسـتـانِ ذيّـاكَ الـقـديـرْ(١)
ولـكِ الـمـوائـدَ عـامـرا تٍ قـد أقـامَ عـلـى الـغـديـر
مـا انـفـكَّ يـجـلـبُ مـن عـنـا قـيـدِ الـتُّـمـورِ لـكِ الـكـثـيـر
فـرمـيـتِـهِ بـلـحـاظِـكِ الـسّـ ـبْـعِ الـنّـوافـذِ فـي الـصّـدور
ومـضـيـتِ قـائـلـةً لـه: «إيـشـو»! تـعـالَ إلـى الـخـدورْ
هـيّـا ومَـتِّـعْـنـي، فـقـوَّ تُـكَ الـشّـهـيّـةُ لـي سُـرور
يـدَكَ الـقـويّـةَ مُـدَّهـا، خَـصـري لـهـا مَـهْـدٌ وثـيـر

«إيـشـو» يُـجـيـبُ بـدهـشـة: فـيـمَ الـسُّـؤالَ تُـبـدِّيـن؟
أأكـونُ جـوعـانًـا وأمِّـ ـيَ تـصـنـعُ الـخـبـزَ الـعـجـيـن؟
لا... لـن أذوقَ طـعـامَـكِ الـ ـمـرَّ الـمـذاقِ، هـو الـلـعـيـن
لـيـسَ الـيـراعُ بـحـافـظٍ جَـسَـدًا مـن الـبـردِ الـمُـهـيـن(٢)
فـضـربـتِـهِ، ونـبـذتِـهِ، ومـسـخـتِـهِ الـخُـلْـدَ الاسـيـن
[وجَـعَـلْـتِ سُـكْـنـاهُ الـتُّـرا بَ فـلا يُـعـانُ ولا يُـعـيـنْ]
إنْ كـنْـتِ قـدْ أَحْـبَـبْـ ـتِـنـي أفـلا أكـونُ لـه الـقـريـن؟»

(١) إيشو: اختصار إيشولانو.
(٢) اليراع: القصب، والمقصود أكواخ القصب.

غضبة عشتار

«عشتارُ» إذ سمِعَتْ مقا — لةَ ذلكَ الفذِّ الجَنانْ
غضِبَتْ كما لم تَغْضَبِ الـ — أربابُ يومًا في الزّمانْ
وإلى السّماءِ تحوَّلتْ — تمضي إليهِ بلا عِنانْ:
«أبتاهُ «آنو» إنّني — قد سبَّني ذاك الجبان
«أنتومُ»، أمّي! إنّني — أهتزُّ، يا أمّي!، هَوانْ![1]
أيسبُني «جلجامشُ» الـ — فاني ويوسعُني امتهانْ
عدَّ القبائحَ من فعا — لي يا أبي! وبيَ استهانْ»

فأجابَ «آنُ» مخاطبًا — «عشتارَ»: «يا سَحَرَ الغداةْ
إنّي أرى ما قد طلبْـ — تِ مهانةً لكِ يا فتاة!
ولذا فـ «جلجامي» يُعَدِّ — دُ ما فعلْتِهِ من هَنات
ماذا تَرَيْنَ لكي نُعيـ — دَ كرامةً لكِ يا مَهاة!؟»

-«إنّي سَأُهْوي الثَّورَ من — لَدُنِ السّماءِ على الرُّعاة[2]
يقضي على كلِّ السّوا — ئمِ والمزارعِ بالشَّتات
يقضي على «جلجامشٍ» — يجتثُّ من فمِهِ الحياة
وإذا رفضْتَ فلي مفا — تيحُ الأسافلِ جاهزاتْ

(١) أنتوم: زوجة الإله آنو وأم عشتار.
(٢) الرعاة: الملوك والرؤساء ومن إليهم.

وبـهـا سـأفـتـحُ عـالَـم الـ أمـواتِ، بَـعْـدُ فـلا نـجـاة
يـأكـلْـنَ كـلَّ مـآكـلِ الـ أحـيـاءِ، يـمـلأْنَ الـجـهـاتْ»

فـأجـابَ «آنُ» مـخـاطـبًـا «عـشـتـارَ»: «يـا أَصْـلَ الـخـصـوبـهْ!
لـو كـنـتُ أفـعـلُ مـا أردْ تِ لـكـنْـتُ عَـمَّـمْـتُ الـجـدوبـه
سـبـعٌ مـن الـسّـنـواتِ تـمـ ضـي، لا زراعـةَ لا خـطـوبَـهْ[1]
هـلا جـمـعْـتِ مـن الـحـبـو بِ طـعـامَ أجـيـالٍ رغـيـبـه[2]
وقـطـيـعَ مـاشـيـةِ الـثّـرى هـلا زرعْـتِ لـهُ نـصـيـبَـهْ؟»

فَـتُـجـيـبُ «عـشـتـارُ» الـمـلـيـ حـةُ: «يـا أبـي أبـتِ الأمـيـن!
إنّـي جـمـعْـتُ مـن الـحـبـو بِ مـخـازنًـا تـكـفـي سـنـيـن
وكـذاكَ أقـواتَ الـسَّـوا ئـمِ قـد زرعْـتُ فـلـن تـهـون»

[فـأجـابَ «آنُ» وقـد رأى عـشـتـارَ تـقـصُـدُ مـا تـقـول:
«لـكِ مـا أردْتِ وقـد أذِنْـ تُ فـهـاكِـهِ الـثّـورَ الـمَـهُـولْ
ثـورٌ يـهـدِّمُ أو يـحـطِّـمُ أو يـقـتِّـلُ إذ يـجـولْ
ثـورٌ يُـبـيـدُ الأرضَ يـجـ عـلُـهـا بـوارًا أو تـحـولْ»]

مصرع ثور السماء

ما كادَ «آنو» أنْ يفوهَ بما يقولْ
حتّى استجابَ الثّورُ خوّارًا كغول
هَبَطَ المدينةَ جائلًا فيها يصول

بخُوارِهِ قَتَلَ الرّجا ... لَ، وكانَ أوّلَ ما يخورْ،
مئةً على مئتينِ فو ... قَ ثلاثةٍ ثُمَّ الكثيرْ
بخُوارِهِ قَتَلَ الرّجا ... لَ وكانَ ثانيَ ما يخورْ
مئةً على مئتين فو ... قَ ثلاثةٍ ثمَّ الكثيرْ
حتّى إذا كانَ الخُوا ... رُ وذاك ثالثُ ما يخور
وَثْبًا على «إنكيدُ» يب ... غي قتلَهُ ذاكَ الهصور
لكنَّ «إنكيدو» أحا ... لَ هجومَهُ الشّيءَ الحسير
قرناهُ صارا في يدَيْ ... هِ فأزبدَ الثّورُ المرير
وبذيلِهِ لَطَمَ الشُّجا ... عَ فكادَ من عَزْمٍ يطير
«إنكيدُ» يصرُخُ: «أي صدي ... قي! يا رفيقي! ياً أمير..!
كَثُرَ التّفاخرُ والتبا ... هي والتّعاظُمُ والحبور
[واليومَ هذا الثّورُ يُف ... سِدُ ما صنعنا من أمور

هلّا تعاوَنّا معًا ... أو لا يكونُ لنا احترامْ
وأظنُّ هذا الثورَ في ... «أُوروكَ» مغتالَ السَّلامْ

النّاسُ والعمرانُ والـ ... أشياءُ تفنى بالتّمام
ومدينةَ الأشباحِ تُصـ ... بحُ - يا رفيقي! - بعد عام»
فاغتاظَ «جلجامي» وقا ... لَ مُردِّدًا هذا الكلام:
«سيموتُ هذا الثّورُ - يا ... «إنكيدُ» - طعْنًا بالسِّهامْ]
ما بينَ قرنَيْهِ وآ ... خرِ رأسِهِ يُسْقى الحِمام»[١]
وانقضَّ «جلجامي» «وإنـ ... كيدو» كما جَبَلَيْ خِصامْ
«إنكيدُ» يجري خلفَ ذا ... كَ الثّورِ مشدودَ الحِزام
ويشدُّ منهُ الذّيلَ شـ ... دًّا ما لهُ منهُ انفصامْ
ورفيقُهُ «جلجامشٌ» ... يمضي إليهِ وباحتدامْ
ولأنّهُ قد صارعَ الثّـ ... يرانَ، جبّارٌ، هُمام
ألقى برأسِ الثّورِ نصـ ... لًا مثلما كانَ الكلامْ

والقلبُ قد نَسَلاهُ من ... بينِ الضّلوعِ وقرّباهْ
للرّبِّ «شمشٍ» قرّبا ... هُ لكي يسيرا في خُطاهْ
ثمَّ استراحا ساجدَيْـ ... نِ لهُ على كلِّ اتّجاه

لكنَّ عشتارَ ارتقتْ ... سورَ المدينةِ صاعدَهْ
للذّروةِ العليا وكا ... نت في مُقامِها حاقدهْ
لَعَناتِها صبّتْ على ... «جلجامشٍ» لهُ واعدهْ[٢]:
««جلجامشٌ» بالتّربِ مرَّ ... غَني وكنتُ السّائدهْ
ثورُ السّماءِ يحيلُهُ ... شِلْوًا وما به فائده!»

(١) يبدو أنّه قد أُوحِيَ لجلجامش أنّ مقتل الثور ما بين قرنيهِ ومؤخّرة رأسه.
(٢) واعده: متوعِّدة ومهدِّده.

فـــاحـــتـــدَّ «إنـــكـــيـــدُو» وقـــد أصـــغـــى لـــقـــولِ الـــحـــاســـده
فـــاجـــتـــثَّ فَـــخْـــذَ الـــثَّـــورِ ثُـــمَّ رمـــى بـــه تـــلـــكَ الـــرُّبَـــيْـــبَـــهْ
إذ قـــالَ: «لـــو أنّـــي اســـتـــطـــعْ ـتُ بـكِ الـلـحـاقَ فـلـن أُخـيـبَـهُ
ولـــنِـــلْـــتِ مـــنّـــي مـــثـــلـــمـــا لـــلـــثّـــورِ فـــي هـــذي الـــمـــصـــيـــبـــهْ
ولَـــجِـــئْـــتُ بـــالأحـــشـــاء أر بِـــطُـــهـــا بـــخَـــصْـــرِكِ يـــا لَـــعـــوبَـــه»

«عِـــشـــتـــارُ» جَـــمَّـــعَـــتِ الـــبـــنـــا تِ وكـــنَّ مـــنـــذوراتِ حُـــبِّ
وأقـــمْـــنَ فـــوقَ الـــشِّـــلـــوِ فَـــخْ ـذِ الـــثّـــورِ مَـــبْـــكـــاةً بـــرُعْـــبِ
أمّـــا الـــفـــتـــى «جـــلـــجـــامـــشٌ» فـــرجـــالُـــهُ مـــن كـــلِّ صَـــوْبِ
جـــاؤوا إلـــيـــهِ تـــوافـــدوا ومـــهـــارةٌ فـــيـــهـــم تـــلـــبّـــي[1]
فـــأراهُـــمُ الـــقـــرنَـــيْـــنِ قـــر نَـــيْ ثَـــوْرِ «عَـــشـــتـــارٍ» بـــعُـــجْـــبِ

فـــإذا هـــمـــا عَـــشَـــراتُ أرطـــالٍ ثـــقـــالِ
وإذا هـــمـــا بـــسَـــمـــاكـــةٍ شـــبـــهِ الـــمُـــحـــالِ
لـــلـــزّيـــتِ يـــحـــتـــويـــانِ ستًّـــا بـــالـــكـــمـــالِ[2]
حُـــقّـــيْـــنِ صـــارا، صُـــنّـــعـــا عِـــلـــقَـــيْ جـــمـــالِ

ولـــربِّـــهِ «لـــو جـــالَ بـــنـــدا» قُـــدِّمـــا
مـــســـحًـــا لـــهُ بـــالـــزيـــتِ كـــيـــمـــا يـــرحـــمـــا
مِـــن بـــعـــد ذا فـــي الـــعـــرشِ ثَـــمّـــةَ خُـــيِّـــمـــا[3]
حـــتّـــى إذا غَـــسَـــلا الـــيـــدَيْ نِ بـــبـــعـــضِ أمـــواهِ الـــفـــراتِ

(١) المهارة: هنا مهارة الحرفيين من الرجال الذين جاؤوا ليصنعُوا من قرنَي الثور شيئًا لجلجامش.
(٢) ستًّا: ست جورات، والجورة مكيال بابلي سعته ٦٥ غالونًا.
(٣) خيّما: وُضِعا لكبرهما كخيمتين.

مضيا معًا ويداهما   تتحالفانِ على العُتاةِ
وتناهيا جنبًا إلى   جنبٍ لإحدى المَرْكباتِ
يَسْتحليانِ السَّيرَ مَز   هُوَّيْنِ في كلِّ الجهاتِ
وتجمّعَ الأهلونَ في   «أوروكَ» من غادٍ وآتِ
هذا الفتى «جلجامشٌ»   يشدو ببعضِ الأغنياتِ:
«يا عازفاتٍ فوقَ قيـ   ـثارٍ على وَتَرِ الشَّكاةِ
مَنْذا المجيدُ لكلِّ فِعْـ   ـلٍ بينَ أبطالٍ ثِقاتِ؟
مَنْذا الّذي فاقَ الرّجا   لَ فلا يخافُ من الطُّغاةِ؟»
فأجبْنَ: «إنّكَ واحدٌ   أنتَ المجيدُ على الحياةِ
إنكيدُ بعدَكَ فائقٌ   فوقَ الرّجالِ، من الهُداةِ»
[حتّى إذا سكت النشيـ   ـدُ عنِ الثّناء، عنِ الصَّلاة
مضَيا معًا في أُلْفَةٍ،   مضيا إلى قصر السَّراة][1]
وهناكَ قد صنعا ولا   ئمَ للرعيّةِ والرُّعاةِ

إنكيدو في مرضِه

ثمَّ استراحا بعدَ ذ　　لكَ نائمَينِ على السّريرْ
ورأى الفتى «إنكيدُ» حُلـ　　ـمًا ما لهُ أبدًا نظيرْ
حتّى إذا كان الصّبا　　حُ وشاهدا النُّورَ الغزيرْ
«إنكيدُ» راحَ يقُصُّ حُلـ　　ـمَهُ مُعْلنًا فيهِ النّذيرْ:

«إسمع صديقي! أيُّ حُلْـ　　ـمٍ جاءَني يؤذي المنامْ
بل أيُّ حُلْمٍ جاءني　　في الليلِ يغتالُ السَّلامْ!
«آنو» و«إنليلٌ» و«إيّا»　　ثُمَّ «شمشٌ» في مقام
يتشاورون فقرّروا　　موتًا لنفسيَ لانتقام
«آنو» يقولُ: تمرّدا　　والحقُّ أن يلقى الحِمام
ذاكَ الّذي خَلَّى جبا　　لَ الأرزِ شيئًا كالحُطام
فيردُّ «إنليلٌ» بقو　　لٍ واحدٍ: لا لن يُضامْ
لا لن يموتَ «جلامشٌ»　　فـ «جلامشٌ» بطلٌ هُمام[1]
«إنكيدُ» ذاكَ نُميتُهُ　　فيذوقُ عاقبةَ الخِصام
لكنَّ «شمشًا» ساءَهُ　　هذا القرارُ وباهتمام:
أولستُ مَن أَمَرَ الجميـ　　ـعَ بما استباحوا من حرام؟
فعلامَ نقضي فيهما　　أنْ يُستباحا للحِمامْ؟
وهنا تفجّرَ غاضبًا　　«إنليلُ» كالنّارِ الضِّرام:

(١) جلامش: اختصار جلجامش.

أَوَصــرتَ مــنــهــم واحـــدًا يـا «شـمـشُ»! مـا هـذا الـكـلام؟»
مـا كـادَ «إنـكـيـدو» يـصـيـــرُ مـن الـكـلامِ إلـى انـتـهـاءْ
حـتّـى تـمـدَّدَ فـي الـسّـريـرِ عـلـى ضَـنًـى يـخـشـى انـقـضـاءْ
وأمـامَ «جـلـجـامـي» تـفـيــضُ دمـوعُـه مـثـلَ الـنّـسـاءْ
فـيـقـولُ «جـلـجـامـي»: «أخـي! يـا عِـزّتـي! أأنـا بَـراءْ؟
هـل بـرّؤونـي؟ لـم تـكُـنْ أحـكـامُـهـم أبـدًا سـواء
مَـنْ ذاكَ يـؤنـسُ وحـدتـي؟ «إنـكـيـدُ» هـل خـابَ الـرّجـاء؟
أتُـرى، نـفـوسُ الـمـيّـتـيـنَ صِـحـابـتـي؟ يـا لـلـخَـلاءْ!
أهـنـاكَ أصـحَـبُـهُـمْ عـلـى بـوّابـةِ الـمـوتِ الـقـضـاء؟
أيـصِـحُّ أنّـي لـن أراكَ ولـن أرى بـعـدُ الـوفـاءْ؟»

«إنـكـيـدُ» يـرفـعُ طـرْفَـهُ وأمـامَـهُ بـابٌ جـمـيـلْ
خَـشَـبـاتُـهُ مـن بـابِ «خـمـبـابـا»، وكـانَ بـهـا الـبـخـيـل
«إنـكـيـدُ» يـرفـع طـرْفَـهُ ويـخـاطـبُ الـبـابَ الـثّـقـيـلْ:
«فـي الـغـابِ بـابٌ لا يـعـي يـا بـابُ عـجِّـلْ بـالـرّحـيـلْ
أَعْـجَـبْـتَـنـي وأنـا بـعـيـدٌ عـنـكَ بُـعْـدَ الـمـسـتـحـيـل
فـطـلـبْـتُ أرضَـكَ كـي أنـالَ جـمـالَـكَ الـفَـذَّ الأصـيـلْ

فـوجـدتُ فـيـكَ تـعـالـيًـا فـي الـجـوِّ مـن سـبـعـيـنَ بـاعْ
ووجـدتُ فـيـكَ تـطـامُـنًـا بـسَـمـاكـةٍ لا تُـسـتـطـاع
نـجّـارُ «نـيـبـورَ» اسـتـعـانَ - كـمـا تـرى - بـيـدٍ صَـنـاع[1]

---

(١) نيبور: المدينة التي منها النجّار صانع الباب.

لـو كـنـت أعـلـم مـا تَـجُـرُّ — عـلـيَّ مـن شـؤمٍ وويـلِ
لـحـمـلْـتُ فـأسًـا حـطَّـمَـتْ — مـنـكَ الـضّـلـوعَ بـلا عـويـلِ
وجـعـلْـتُ مـنـكَ كـمـا الـخـيـو — طُ ضـفـائـرًا فـي كـلِّ ذيـلِ»

[«إنـكـيـدُ» يـذكـرُ فِـعـلَـةَ الـصّـ — ـيّـادِ ذاك الـغـابـرِ
فـيـسـبُّـهُ شـتـمًـا ويـلـ — ـوي بـالـكـلام الـخـاسـرِ:]
«لا . . لـن يـكـونَ مُـسَـوَّدًا، — وثـراهُ مُـلْـكُ الـعـابـرِ
وفِـعـالُـهُ مـرذولـةٌ — بـعـيـونِ ربٍّ قـاهـرِ
وتـفـرُّ مـنـهُ طـرائـدٌ — مـن كـابـرٍ أو صـاغـرِ
أمّـا الـلـعـوبـةُ تـلـكُـمُ — إذ أثّـرتْ فـي خـاطـري[1]
فـلـهـا الـشـتـيـمـةُ ذِلَّـةً — مـن كـلِّ نَـجْـمٍ سـاهـرِ
هـذا مـصـيـرُكِ أسـودٌ — تـرتـاحُ فـيـهِ نـواظـري
ولْـيَـتْـبَـعَـنَّـكِ عـامـدًا — لَـعْـنٌ وسـيـفُ الـغـادرِ
[شُـوِّهْـتِ حـتّـى لا تـكـو — نـي فِـتـنـةً لـلـنّـاظـرِ
بـل دُمـيـةً مـمـسـوخـةً — أُضـحـوكـةً لـلـسّـاخـرِ
ولْـتَـنْـأَيَـنْ عـنـكِ الـعـيـو — نُ وكـلُّ شَـبْـقٍ ثـائـرِ]
سُـكـنـاكِ مـا بـيـنَ الـدرو — بِ عـلـى مـعـابـرِ سـائـرِ
وظـلالُ جـدرانٍ لـك الـ — ـمـأوى بـحَـرٍّ هـاجـرِ
قَـدَمـاكِ، مـا قَـدَمـاك — إلّا حـافـرٌ فـي حـافـرِ
يـكـسـوهُـمـا شَـوْكٌ ويـكـ — ـسـو الـشـوكُ رِجـلَ الـعـاثـرِ
ولْـيَـرْكُـلَـنَّـكِ عـابـرٌ — مـن مُـذْنَـفٍ ومـغـامـرِ

(١) اللعوبة: هنا كاهنة الحبّ التي علّمته السلوك الإنساني.

والــقــوتَ تــشــتــاقــيــن إنَّ الــقــوتَ لــيــسَ بــحــاضــرِ
والــمــاءَ مُــرًّا تــشــربــيــن إذا صــفــا لــلــعــابــرِ
والــنّــاسُ إنّ الــنّــاسَ تــأ بــى أنْ تــراكِ بــنــاظــرِ
[لا رحــمــةٌ، لا رأفــةٌ لا نــظــرةٌ مــن ســامــرِ
وكــذاكَ تــبــقَــيْــنَ الــدُّهــو رَ عــلــى رَتــابــةِ قــاصــرِ»]

شمش يردّ على إنكيدو

«شَمْشُ» القديرُ وقدْ أصاخَ لما يقولْ
ناداهُ من أعلى السَّماءِ: «أيا جهولْ!
فيمَ صببْتَ شتائِمًا شِعرًا يطولْ؟
ألأنَّها كانت تعلِّمُكَ الأصولْ؟
ألأنَّها للخبز سوَّتْكَ الأكول؟
وسَقتْكَ من خمرٍ بها بُرْءُ العليلْ؟
وكسَتْكَ أثوابًا منَ الخزِّ الصَّقيلْ؟
«وجلامشًا» أعطتْكَ خِلًّا لا يحولْ؟
أو ما تراهُ أخًا لكَ الرّجُلَ الخليل؟

ألأنّها جعلتْكَ فو   قَ اريكةِ الرَّجُلِ الجليلْ؟
تَحظى بكلِّ نبالةٍ   مثلَ الملوكِ فلا تميلْ
وعلى يسارِ «جلامشٍ»   تحظى بتقديرِ القبيل
ويقبّلُ الأمراءُ رجـ   ـلَكَ، ليسَ هذا بالقليل!
وإذا مضيتَ إلى المما   تِ فلَسْتَ مَنْسيَّ الرّحيلْ
بل كلُّ «أوروكٍ» عليـ   ـكَ يصيبُها الحزنُ الأصيلْ
وسَيُجعَلُ السُّعَداءُ بعـ   ـدَكَ في نواحٍ أو عويل
وعليكَ يتركُ شعرَهُ،   «جلجامشُ»، الشَّعرَ الطّويل
جلدُ الأسودِ لباسُهُ   ويَهيمُ ليسَ لهُ دليلْ

«إنكيدُ» أصغى للإلهْ — «شَمْشٍ»، ولكن بانتباهْ
فأزاحَ عنهُ غضبَةً — كُبرى [وراجعَ ما أتاه:
«يا أَنْتِ[1]! أنتِ مليحةٌ،] — فتبوَّئي أعلى الجباهْ
ولْيُعْلِنَنْ حبًّا لك الـ — صِّيدُ الأكارمُ والسَّراةْ
لا يَضْرِبَنْ أفخاذَهُمْ[2] — إمّا ذُكِرتِ على الشِّفاهْ
لا لن يَهُزَّ شُعورَهم — عُجُزُ الرّجالِ على سَفاهْ
وإذا أرادَ عناقَكِ الـ — فَذُّ الشَّريفُ على رضاه
فَلْيُعْطِينَّكِ كَنْزَهُ — ذَهَبًا وياقوتًا وجاهْ
وإذا قضى وَطَرًا فإنَّ — الحقَّ أن تُعطَيْ جزاهْ
وعنابرٌ تُعْطَى لَهُ — بثوابِ ما لَمَسَتْ يداهْ
وعلى يَدِ الكُهّانِ تُقْـ — ـتادينَ قُدّامَ الإلهْ
والزّوجُ يتركُ زوجَهُ — إمّا رآكِ كما سِواهْ»

إنكيدو والحلم المرعِب

وعلى فراشٍ من حريـ ... ـرٍ نامَ «إنكيدو» الوَدُودْ
جسمٌ سقيمٌ مُنهَكٌ ... تعروهُ بَرْدا وتُعيدْ[1]
حَتّى إذا جاءَ الظّلا ... مُ وحسَّ إحساسَ الطَّريدْ
أفضى لـ«جلجامي» بحلـ ... ـمٍ هَزَّهُ الهزَّ الشّديدْ:
«ولَذاكَ حُلْمٌ أَرْعَدَتْ ... منهُ السَّماءُ على الجرودْ
ووقفْتُ بينَهما وحيـ ... ـدًا لا أمانَ ولا وعودْ[2]
رجلٌ بوجهٍ عاتمٍ ... بادٍ أمامي لا يَحيدْ
في وجهِهِ كالزّوِّ وَجْـ ... ـهٌ مُكْفَهِرٌّ كالحَصيدْ[3]
وله كمثلِ مخالبِ العِقْـ ... ـبانِ أصلبُ من حديدْ
وبها بشعْريَ مُمْسِكٌ ... مُتَمَكِّنٌ يا لَلشَّديدْ!
وعليَّ يَقْفِزُ [إنَّهُ ... يبغي إلى ما لا أريدْ
ولِعالمِ الأمواتِ تحـ ... ـتَ الأرضِ] غاصَ بيَ المُريد
[وهناك في الظُّلُماتِ حيـ ... ـثُ الخوفُ والرُّعْبُ الولودْ
شيءٌ يراهُ القلبُ مَقْـ ... ـطوعَ النِّياطِ منَ الوريد
العقْلُ يُجْلَدُ، والشُّعو ... رُ هُوَ الشُّعورُ بلا ردود
إذ تَذْهَلُ الألبابُ تُخْـ ... ـلَبُ والوجودُ بلا وجودْ

---

(١) بَرْدا: بَرْداء أي الحُمّى البرداء.
(٢) بينهما: أي بين السماء والجرود.
(٣) الزَوّ: طائر خرافيّ عملاق يرد اسمه كثيرًا في الأساطير البابليّة.

وهـــيـــاكـــلُ الأمـــواتِ لَـــهْ يَ هـــيـــاكـــلٌ تُـــرعَـــى بـــدودْ]
وهـــنـــاكَ حَـــوَّلَـــنـــي الـــمـــخـــو فُ [إلـــى عـــجـــائـــبَ مِـــنْ قـــدودْ]
فـــيـــدايَ أُلْـــبِـــسَـــتـــا مـــعًـــا ريـــشًـــا كـــمـــا الـــطّـــيـــرُ الـــنَّـــكـــودْ
ولِـــبـــيـــتِ «إرجـــالا» هـــنـــا كَ يـــقـــودُنـــي ذاكَ الـــحَـــقـــودْ(١)
حـــيـــث الـــظّـــلامُ مُـــخَـــيِّـــمٌ مَـــنْ صـــارَ فـــيـــهِ فَـــلَـــنْ يَـــعُـــودْ
والـــدّربُ لا يـــمـــشـــي هـــنـــا كَ إلـــى الـــوراءِ بـــهِ الـــمَـــقـــودْ
أهـــلـــوهُ ذاكـــمُ شـــأْنُـــهُـــمْ ظُـــلُـــمـــاتُـــهُـــمْ لـــيـــلٌ عَـــتـــيـــد
وطـــعـــامُـــهُـــمْ طـــيـــنٌ وتُـــرْ بٌ لا يـــســـوغُ ولا يُـــفـــيـــد
ولـــبـــاسُـــهُـــمْ، كـــالـــطَّـــيـــرِ، أجـ نـــحـــةٌ، ولـــكـــنْ مـــن قـــديـــدْ
الـــنـــورَ مـــا عـــرفـــوا هـــنـــا لـــكَ إنّـــه لـــيـــلٌ وَهِـــيـــد(٢)

بـــيـــتَ الـــتّـــرابِ دَخَـــلْـــتُـــهُ فـــإذا الـــمـــلـــوكُ بـــلا وســـامْ
تـــيـــجـــانُـــهـــم نُـــزِعَـــتْ وكـــلُّ فـــي الـــدُّنـــا كـــانَ الـــهُـــمـــامْ
نُـــوّابُ «آنـــو» قـــدّمـــوا لـــهُـــمُ الـــطَّـــعـــامَ وبـــاحـــتـــرام،
خـــبـــزٌ ومـــاءٌ بـــاردٌ والـــلـــحـــمُ مَـــشْـــويٌّ مُـــدامْ
نُـــوّابُ إنـــلـــيـــلٍ لَـــهُـــمْ كـــانـــوا جـــلاوذةَ الـــطّـــعـــامْ
[والآنَ صـــاروا مـــا رأيـ ـتُ عـــلـــى الـــتّـــرابِ وفـــي الـــقَـــتـــامْ]
ووجـــدْتُ حـــيـــث دخـــلْـــتُ كـــهّـــانًـــا، وقـــد كـــانـــوا الـــعـــظـــام،
والـــحـــارســـيـــنَ جِـــرانَ زيـ ـتِ الـــرّبِّ فـــي ذاكَ الـــمـــقـــامْ

(١) إرجالا: هي أريشكيجال: إلهة العالم الأسفل عالم الأموات.
(٢) وهيد: عميق.

وهـــنـــاك «إيـــتـــانـــا» يُـــقـــيـــ ـــمُ بـــقـــرب «ســـامـــوقـــانَ» دانْ[١]
وهـــنـــاكَ «أَرْشْـــكـــيـــجـــالُ» تَـــر عـــى فـــي الأســـافـــلِ مَـــنْ يُـــهـــانْ
وأمـــامَـــهـــا «صـــيـــري» بـــلـــو ح تَـــقْـــرَأُ الـــسِّـــرَّ الـــمُـــصـــانْ[٢]
لـــمّـــا رأتـــنـــي آتـــيًـــا فُـــجِـــئَـــتْ وقـــالـــتْ بـــامـــتـــهـــانْ:
مَـــن ذاكَ جـــاءَ بـــذلـــكَ الـــ ـــهـــاوي إلـــى هـــذا الـــمـــكـــانْ؟[٣]
[وهـــنـــا ارتـــعـــدْتُ وصـــرتُ مـــضْ طَـــرِبًـــا، أنـــا ثـــورُ الـــرِّهـــانْ»

«جـــلـــجـــامـــشٌ» أغـــضـــى وقـــا لَ لـــخِـــلِّـــهِ لـــسْـــتَ الـــجـــبـــانْ:
«أتـــهُـــزُّ «إنـــكـــيـــدو» عـــلا ئـــمُ قـــد تـــراءتْ فـــي الـــمـــنـــامْ!؟»
لـــكـــنّـــهُ، فـــي سِـــرِّهِ، ألـــمٌ يَـــعَـــضُّ كـــمـــا الـــسِّـــنـــان:
«حُـــلُـــمٌ تـــراءى مُـــذْهِـــلٌ يـــا هـــولَـــهُ! لَـــهُـــوَ الـــحِـــمـــام»]

والـــحُـــلْـــمُ ولّـــى يـــومُـــهُ إنـــكـــيـــدُ يـــفـــقِـــدُ عـــزمَـــهُ
وعـــلـــى الـــسّـــريـــرِ وفـــي ضـــنًـــى يـــومٌ طـــويـــلٌ غـــمَّـــهُ

مِـــنْ ثَـــمَّ يـــومٌ ثـــالـــثٌ بـــل رابـــعٌ بـــل خـــامـــسُ
حـــتّـــى تـــوارى ســـابـــعٌ فـــي صـــبـــرِهِ أو ســـادسُ
وإذا تـــوارى ثـــامـــنٌ فـــهْـــوَ الـــسَّـــقـــيـــمُ الـــفـــارسُ
بـــل تـــاســـعٌ، بـــل عـــاشـــرٌ والـــمـــوتُ ذاك الـــحـــارسُ
يـــومـــانِ بـــعـــدُ تـــعـــاقـــبـــا والـــمـــوتُ كـــان يُـــخـــالـــسُ

(١) إيتانا: ملك أسطوري يقال إنّه حُمل إلى السماء على جناح نسر.
(٢) صيري: بعلة - صيري وهي كاتبة أرشكيجال إلهة العالم الأسفل.
(٣) الهاوي: السّاقط أي إلى العالم الأسفل.

نــادى الــصّــديــقَ يــبــثُّــهُ   نجوى الخليلِ إلى الخليلْ:
«لا بــدَّ أنّــي قــد لُــعِــنْ   ـتُ من السّماءِ، أنا العليل
كيما أموتَ على السّرير   كميتةِ النّذْلِ الكليل
لا في المعاركِ، في سفو   حِ الأرزِ، أُقْتَلُ كالنّبيل
حقًّا خشيتُ الحربَ يو   مًا [مَعْ «حواوا» في الأصيل
أتكونُ هذي جِزيتي   فوقَ السّريرِ أنا القتيلْ]
ما أَطْيَبَ الموتَ الّذي   في السّاحِ بُلَّ بهِ الغليلْ
لكنّني - وعلى سري   رِ الموتِ - مَخزيٌّ ذليل»

رثاء إنكيدو

إذا انبلجَ الصّباحُ وجاءَ يومٌ ... فهذا «جلامشٌ» فَمُهُ يقولُ:
«أإنكيدو! وأمُّكَ من غزالٍ ... أبوكَ الوحشُ مِقدامٌ يصولُ
نشأْتَ، وفي ذواتِ الذيلِ ترعى ... هناك على الفيافي إذ تجولُ
دروبُ الأرزِ ساكبةٌ عليك الدّ ... موعَ الجارياتِ فلا تحولُ
وتبكيكَ الليالي لا كلالٌ ... وتبكيكَ النّهارَ غدًا تُلولُ
بأوروكَ الفسيحةِ فَلْيَظَلُّوا ... شيوخٌ يندبونك والقُيولُ
شيوخٌ باركوا سفرًا نَوَيْنا ... إلى أَرْزِ الجبالِ وحيثُ غولُ(١)
صدى أنّاتِهِمْ رَجْعُ البراري ... كأمِّكَ إذ تنوحُ ولا عَذولُ
سباعُ البرِّ تبكيكَ الليالي ... ضباعٌ أو فهودٌ أو وُعُولُ
لتبكِ الغابُ رائدَها المرجّى ... لتبكِ الأسْدُ والنَّمِرُ القتولُ
ليبكِ عليكَ «أُولى» قد مشينا ... على شطآنِهِ وهْوَ الطّويلُ(٢)
أتذْكُرُهُ الفراتَ على الشّواطي ... وكانَ الماءُ في القُرَبِ العليلُ
سيبكيكَ الفرات بكلِّ حينٍ ... وفي أوروكَ يبكيكَ الشُّبولُ
ولن ينسَوا مواقِعَنا، وقتلًا ... لثورٍ في المدينة لا يَقيلُ
ليبكِ عليكَ مَن كانوا رواةً ... لمدحِكَ، في المدينة، قد أُحِيلوا
ليبكِ عليكَ مَن لم يعرفوكَ الّـ ... ـذينَ يُصِمُّهُمْ نَعْيٌ جليلُ
ليبكِ عليك مَن صنعوا طعامًا ... ومَن وضعوا الموائدَ لا تزولُ

(١) الغول: المقصود به هنا حواوا.
(٢) أولى: اسم نهر سارا على ضفافه في الطريق إلى غابة الأرز.

ليبكِ عليكَ مَن كانوا النّدامى وصبّوا الخمرَ في كأسٍ تصولُ
وكاهنةٌ أرتكَ العيشَ حُلْوًا لتبكِ عليكَ والهةً تقولُ:
بزيتٍ طيِّبٍ ضمّخْتُ «إنكي» وإن سكتتْ يرنُّ بها العويلُ
سيبكيكَ النِّساءُ هنا بـ«أرْكٍ» وأصحابُ الخواتمِ والعذولُ[١]
كما لو كنَّ من أخواتِ «إنكي» يقصِّرْنَ الشُّعورَ فلا تطولُ»

هنا ينتابُ «إنكيدو» سكونٌ ولونُ الموتِ يَلْبَسُهُ الجبينُ
فيصرُخُ ملءَ فيهِ: [«لا لموتٍ وإنكيدو له الدنيا خَدينُ»
تجمّعَ حولَهُ أشياخُ «أُرْكٍ» وكلٌّ فوقَ جبهتِهِ غضونُ
فصاحَ بهم جميعًا: «يا لَقومي! أصابتني بإنكيدو الشُّجونُ]
تعالَوا يا شيوخَ الأرضِ إنّي سأبكي والعيونُ لها شؤونُ
سأبكي والهًا، أبكي صديقي كما النّسوانُ تُسعفُها العيونُ
سلاحي كاملًا قد كان جنبي ودِرعي بَعدَهُ أضحتْ تهونُ
وكان كمديتي شَدَّت يميني وكان التُّرسَ يحميني، يصونُ،
بعيدي حُلَّةٌ، ترتاحُ نفسي إليها، ما تساورُني الظُّنونُ[٢]
وحيدًا كانَ مِفتاحَ الأماني وأفراحي تلاشَتْ، لا تكونُ
كذا حتّى دنا شيطانُ همّي تناولَ فرحتي، وهوَتْ متونُ

صديقي، يا أخي، خِلّي، صغيري، سَبَقْتَ حمارَ وحشٍ في الفلاةِ
وفهدٍ كُنْتَ أسبقَ منهُ يومًا وكنّا في الصِّعابِ كما البُزاةِ

(١) أصحاب الخواتم: كناية عمَّن رغبنَ في الزّواج به، والعذول: مَن لامته لامتناعه عنها وانصرافه إلى غيرها.
(٢) بعيدي: هو في عيدي.

وثيرانُ السَّماءِ لنا تهاوتْ جبالُ الأرزِ خُضْتَ لها الجهاتِ
و«خمبابا» صرعناهُ فأضحى بأرضِ الأرزِ أشلاءَ الرُّفاتِ
فكيفَ تغيبُ أنتَ اليومَ عنّي وتغرقُ في الظّلامِ بلا حياة؟»
ولمّا أنْ سجا إنكيدُ عينًا وصارَ منَ السُّباتِ إلى سُباتِ
«جلامشُ» جسَّ من «إنكيدُ» نبضًا فغاضَ النَّبضُ في بحرِ المماتِ
فألقى فوقَهُ حالًا وشاحًا وشاحَ عروسةٍ تُجْلَى لآتِ

وصارَ مِنَ الصُّراخِ إلى زئيرٍ كأنَّهُ لَبْوةٌ سُلِبَتْ شِبالا
يدورُ على مدارِ سريرِ «إنكي» و«إنكي» في السّريرِ سجا وقالا[1]،
يقطّعُ باليدينِ الشَّعْرَ منهُ ويرميهِ كأنَّ بهِ خَبالا
وأثوابًا لَهُ خَزًّا رماها، [ومزّقها، وأَلْقَمَها النِّعالا
وثارَ كما هو المجنونُ يمشي كثورٍ في الوغى يبغي النِّزالا
ويصرُخُ: «يا إلهَ الخير «شمشًا» تعالَ وعاينِ النّورَ استحالا
أيُرضي «شمشَ» أنّ الخيرَ يَهوي أيُرضيهِ إذا الفرحُ استقالا
و«إنليلٌ» أيُرضيهِ خَلاءٌ منَ الشُّجعانِ إن شرٌّ تتالى
و«آنو» - جلَّ آنو - كيف يَرضى بما قد حَلَّ في «أُرْكَ» اغتيالا][2]

«إنكيدُ»! إنّي قد جعلـ ـتُكَ في الأريكةِ يا خليلْ
وعلى يساري جالسًا مثلَ الملوكِ فلا تميلْ
قد قبّلَ الأمراءُ رِجْـ ـلَكَ، ليسَ هذا بالقليل
والآنَ «أوروكٌ» عليـ ـكَ يُصيبُها الحزنُ الأصيل

(١) قال: ارتاح.
(٢) الاغتيال هنا هو قتل الآلهة لإنكيدو وكأنّه أُخِذَ غيلة.

وسأجعلُ السُّعَداءَ بعـ ـدَكَ في نُواحٍ أو عويلْ
وعليكَ شَعري تاركٌ حتّى يُرى شَعري الطّويل
جِلدَ الأسودِ أنا سألْـ ـبَسُ هائمًا، ما من دليلْ»

مأتم إنكيدو

حتّى إذا جاءَ الصّبا   حُ، وكانَ أبلجَ لا يحولْ
«جلجامِ» حلَّ حِزامَهُ   [وثَوَى إلى جَنْبِ الخليلْ

لا لن يَفُكَّ وِثاقَهُ   حتّى إذا «إنكي» يُريدْ
«جلجامِ» يجلِسُ قربَهُ   ونُواحُهُ أبدًا يَزيد
ليلًا نهارًا باكيًا   سبعًا قضى هذا العنيد
لا لن يُسلِّمَ للثّرى   «إنكيدُ» ذيّاكَ الوَدُودْ
سبعًا وسبعًا في البكا،   هلّا تُرى يومًا يعود!
حتّى إذا ما اسّاقطَتْ   من أنفِهِ أرتالُ دودْ
وأحسَّ أنّهُ لن يعو   دَ ولن يكونَ لهُ النّجيد

في الحالِ أومأ أن يكو   نَ لخلِّهِ نُصُبٌ جميلْ
فتعاونَ الصّنّاعُ كي   يبنوا لإنكيدو المثيل
تمثالُهُ ما مِثلُهُ   نحتوا لمعبودٍ جليل
بل ليسَ في «أوروكَ» تم   ثالٌ علا فوقَ القُيول
إلّا لإنكيدو بأم   رٍ من «جلامشَ» إذ يقول:
«في ساحةِ «الأوروكِ» يع   لو فوقَ منبرِهِ الصّقيل
ويَشُقُّ بينَ يدَيْهِ نَهْ   رًا قد غدا وهو الكليل
فكّاهُ مشقوقانِ مَمْ   طوطانِ، دَمُّهُما يسيلْ

عَضَلاتُ إنكيدو تُشَدُّ فلا كثيرَ ولا قليلْ
بَلْ إنَّهُ من طبعِهِ يقضي على الوحشِ المهولْ»
«جلجامٍ» يصرُخُ بالنّساءِ «إلى العويل»
وكذا الرجالُ: «فيا رجالُ قضى الخليل
هيّا إلى «الأَنُناكي» كي نشفي الغليل[١]
نجثو نُصَلّي مِ الصَّباحِ إلى الأصيل

علَّ «الأَنُوناكى» به تتلطَّفُ[٢]
والرّوحَ منهُ فذّةً هيَ تكنُفُ
علّ الفتى «إنكيدُ» يومًا يُنْصَفُ
يا أهلَ «أوروكٍ» لأنتمُ أعرفُ»

صلّى الرّجالُ مقدّرينَ خِلالَهُ
وتضرّعوا، وتذكّروا أعمالَهُ
قالوا: «الأَنُوناكي» لها قُربانُها
قَدِّمْ لها قُربانَها لتنالَهُ»]

فأتى بطاولةٍ يُزيِّنُها الجُمانْ
أخشابُها من خيرِ ما عَرَفَ الزّمان
وإناءُ شَهْدٍ فوقَها من كَهْرُمانْ

---

(١) الأناكي: آلهة العالم الأسفل.
(٢) الأنوناكي: هي الأناكي.

عــادُوا مــنَ الــصَّــحْــراءِ إبّــانَ الــغــروبْ[2]
لــيضـمّـخـوا الـرَّجُـلَ الـمـسـجّى بـالـطّـيـوبْ
حــتّــى إذا جــاءَ الــصّــبــاحُ ولا هــروبْ
مِـنْ دَفْـنِ «إنـكـيـدو» عـلا صـوتُ الـنّـحـيـبْ

غُـسِـلَ الـفـتـى «إنـكـيـدُ» بـالـمـا والـعـطـورْ[3]
وعَـلَـوا بـهِ فـي الـنـعْـشِ تـكـنُـفُـه الـزّهـور
خَـشَـبـاتُـهُ مِـنْ بـابِ «خـمـبـابـا» الـجَـسـورْ[4]
ثــمَّ ابــتَــنَــوْا قــبـرًا لــهُ بــيــن الــقُــبــور

فــي رُكْــنِ مـقـبـرةِ الـمـلـوكِ مـن الـشّـبـابْ
ومَـضَـوْا بـهِ فـوقَ الـمـراكـبِ كـالـعُـبـاب

---

(١) الجفان جمع جفنه وهي القصعة أي وعاء كبير للطّعام.
(٢) الصحراء رمز العالم الأسفل وفيها كانت تقدّم القرابين لآلهة العالم الأسفل وتقام بعض الاحتفالات الجنائزيّة.
(٣) الما: تخفيف الماء.
(٤) في البيت إشارة إلى صنع نعش إنكيدو من خشب باب خمبابا الذي حمله إنكيدو من جبال الأرز، وكان قد صنعه بابًا للقصر الذي عاش فيه بمدينة أوروك، وقد مرّ ذكر ذلك.

حـتّـى إذا مـا غـيَّـبُـوهُ فـي الـتّـرابْ
جَـعَـلُـوا لَـهُ نُـصُـبًا يُـسامِـقُ في السَّـحابْ

وهُـنـاكَ فـي «أوروكَ» قـد عَـلَـنَ الـحِـدادْ
الـكـلُّ فـي حُـزْنٍ سـكـونٌ كـالـرَّمـادْ]
و«جـلامـشٌ» من فـقـد «إنـكـيـدو» اسـتـقـادْ
لـلـهـمِّ والـهَـيَـمـانِ، لـيـسَ لـه مَـعـادْ:

الهَيَمانْ

الهَيمانْ

«أوَلَيسَ يُدركُني إذا ... ما متُّ ذَيّاك المصيرْ
سَكَنَ الأسى قلبي وغَلْـ ... ـلَفَهُ وفارقَني السُّرورْ
والخوفُ من موتٍ يُرَوْ ... وِعُني ويَسلبُني الشُّعور
وأهيمُ في الفَلَواتِ لا ... خلِّي صَحِبْتُ، ولا السَّميرْ
وإلى «تَنابَشتيمَ» أجـ ... ـري، لا أكِلُّ مِنَ المسيرْ[1]

سَيْرًا سَريعًا سِرْتُهُ ... فإذا أنا بينَ الجبالْ
حَيْثُ الأسودُ مُخيفةٌ ... وكأنّها تبغي النِّزالْ
فرفعْتُ رأسيَ عاليًا، ... صلّيْتُ: يا «سنَّ» الليال![2]
فتصاعدَتْ صلواتُ نفـ ... ـسي نَحْوَ آلهةِ الهلال:

فلتحفظنّي، «سنُّ»! يا ... ربًّا عظيمًا للأنامْ»
وإلى سريرٍ منْ صخو ... رٍ قالَ «جلجامي» ونام
وعلى مَنامٍ من رؤًى ... يستيقظُ الرَّجُلُ الهُمامْ
فإذا الأسودُ بِنَشْوَةٍ، ... فرحى، فأَمْسَكَ بالحُسامْ

وببلطةٍ كبرى تَسَلَّحَ، ... واستشاطَ بهِ الغضبْ

---

(١) تنابشتيم: اختصار أوتنابشتيم.
(٢) سنّ: إله القمر، وسيّد الليل.

كـالـسَّـهْـمِ حـطَّ عـلـى الأُسـو   دِ، وقَـتْـلَـهـا كـانَ الـطّـلـبْ
إرْبًـا يُـمَـزِّقُـهـا بـسَـيْـ   ـفٍ حـدُّه مـثـلُ الـلَّـهَـبْ
[وبـبـلـطـةٍ حَـطَـمَ الـرؤو   سَ وشـقّـهـا، بَـلَـغَ الأَرَبْ

فـشـفـى غـلـيـلًا سَـيْـفُـهُ   وارتـاحَ نـفـسًـا وانـتـشـى
وتـتـابـعَـتْ فـيـه الـمـخـا   وفُ كـلّـمـا شـوطًـا مـشـى
فـهـنـا يُـصـادِفُ حـيّـةً   رقـطـا تَـعَـضُّ عـلـى رشـا
وهـنـاكَ نَـمْـرٌ رابـضٌ   أو واثـبٌ يـبـغـي الـعـشـا

لـكـنّـهُ فـي دربِـهِ   مـا كـانَ يُـمـهِـلُ لـلـنـجـاةْ
أفـعـى ولا نَـمِـرًا ولا   ذِئـبًـا يـطـوِّفُ فـي الـفـلاة
كـلٌّ بـسـيـفِـهِ ذائـقٌ   مُـرًّا، ومـنـهُ إلـى الـمـمـات
فـي سـيـفِـهِ حُـلُـمٌ يُـطِـلُّ   كـمـا الـقـضـاءُ عـلـى الـحـيـاة

وعـوائـقٌ فـي دربِـهِ   إنْ هـابـطًـا أو فـي صـعـودْ
وادٍ عـمـيـقٌ مُـرعِـبٌ   مـن فـوقِـهِ تـعـلـو الـنّـجـود
فـي كـلِّ حـيـنٍ فـجـوةٌ   فـيـهـا يـرى وَثْـبَ الأُسـود
أيـصـونُـهُ شـوقُ الـحـيـا   ةِ أمِ الـفـنـاءَ لـه يـقـود؟

ومـضـى يُـجـرِّرُ خَـلْـفَـهُ   دربًـا يـطـولُ بـلا كَـلال
حـتّـى الـتـقـى بـحـرًا رهـيـ   ـبًـا مـوجُـهُ يـعـلـو الـتِّـلال
فـاقـتـصَّ مـن أشـجـارِ بـعـ   ـضِ الـغـابِ سـيـقـانَ الـطِّـوال

كـيـمـا يُـصَـنِّـعَ قـاربًـا ومـضـى بـهِ نـحـوَ الـزَّوال[1]

بـحـرٌ لـه لُـجٌ عـظـيـمٌ مُـرعِـبُ
أمـواجُـهُ مِـثـلُ الـجـبـالِ تَـقَـلَّـبُ
بـل إنّـهـا كـالـلـيـلِ ألـيـلَ، يُـرهِـبُ
كـم صـارعَ الـحيـتـانَ فـيـهـا الأغـلـبُ[2]
وعـواصـفٌ هـوجٌ تُـزَمْـجِـرُ تَـلْـعَـبُ
والـرّعـدُ يَـقـصِـفُ فـي الـسَّـحـابِ فَـيَـكْـرُبُ
والـهـولُ كـلُّ الـهـولِ إذ هـو يَـغْـضَـبُ
لـكـنّـهُ «جـلـجـامـشًـا» فـي قـاربٍ يـتـرقّـبُ

ومـضـى يـخـوضُ مـصـاعـبًـا مـا مـثـلَـهـا يـومًـا رأى
لـكـنّـهُ مـن هـولِـهـا، لـمّـا نـجـا، عـنـهـا نـأى

مـسـتـبـسـلًا فـي سـيـرِهِ حـتّـى يـصـيـرَ لـمـا نـوى
مـسـتـسـهـلًا كـلّ الـصّـعـاب، ولـيـسَ يـأبَـهُ لـلـطّـوى][3]

مع البشر العقارب

[ما زالَ يسري هكذا ليلًا ويجري في النَّهارْ
حتّى انتهى حيثُ انتهى فإذا جبالٌ كالقرارْ]
«ماشو» تُسَمَّى، وانتهى فيها على طَرَفِ القفارْ(١)
«ماشو» هو الجبلُ العظيـ ـمُ، الشّمسَ يحرسُ لا تُضارْ(٢)

الشَّمسَ يرقُبُ، لا يَكِلُّ مِنَ الصَّباحِ إلى المساءْ
وذراهُ تسمُقُ في السَّما ءِ مُجاوِرًا سُحُبَ السَّماء
أوتادُهُ تمتدُّ تحـ ـتَ الأرضِ تُوغِلُ في الفناء(٣)
والحارسونَ لبابِهِ بَشَرٌ عقارِبُ كالقضاءْ

أَلْقٌ مخيفٌ فيهُمُ نظراتُهُمْ موتٌ سريعْ
فوقَ الجبالِ تبعثروا وجلالُهُمْ شيءٌ يَروع
هُمْ يحرسونَ الشَّمسَ إذ تَخْفى وتَظهرُ، لا تَضيع
وإذا رأى «جلجامشٌ» ما قد رأى وهو الضّليع(٤)

(١) ماشو: سلسلة جبال وتعني باللغة الأكاديّة (البابليّة) التوأمين.
(٢) ماشو: هو أيضًا جبلٌ من سلسلة ماشو، ولهُ قمّتان سامقتان تذهب الشمس بينهما إلى مغربها لتغيب في باطن الأرض، وتسير في دربٍ سفليّ ثمّ تتابع سيرها لتعود فتشرق من جديد على عالم الأحياء.
(٣) الفناء: هنا عالم الأموات.
(٤) الضّليع: القويّ الشديد الأضلاع.

فالخوفُ غيّر لونَهُ   فَرَقًا، ولكن ما هوى
بل إنّهُ متقدِّمٌ   يمضي إلى ما قد نوى
أحدُ العقاربِ إذ يقو   لُ لزوجِهِ حيثُ استوى:
«بَشَرٌ ولكنْ بعضُهُ   ربٌّ إلهٌ، مَنْ هُوَا؟»

فأجابتِ الأخرى: «أرى   ثُلُثَيْهِ من أصلِ الكبارْ(١)
والثُّلْثُ مِنْ بَشَرٍ تضيـ   قُ بهِ المسالكُ في القفارْ»
والزّوجُ نادى قائلًا   لابنِ الإلٰهةِ: «ما الخيارْ؟(٢)
فيمَ اختيارُكَ رحلةً   كبرى إلى هذي الدِّيارْ؟

ما الشّأْنُ فيك قضيتَ ردْ   حًا من حياتِك في الصِّعابْ؟
جُزْتَ المسافاتِ الطِّوا   لَ، وخُضْتَ أهوالَ الشِّعابْ
واجتزْتَ أبحارًا إليـ   نا لا يُنَهْنِهُكَ العذابْ
هلّا ذكرتَ لنا الحقيـ   قةَ كي نكونَ على صوابْ

[قد جئتَ أمرًا مدهشًا   ما رامَهُ أبدًا بَشَرْ
وبهِ يحيّرُني السّؤا   لُ عن الحقيقةِ، ما تُسِرْ؟
خبِّرْ أيا هذا الجسو   رُ على تصاريفِ القدرْ
ما السرُّ عندَكَ؟ إنّهُ   سِرٌّ خطيرٌ، ما الخَبَرْ؟»

«جلجامشٌ» ردَّ الجوا   بَ، وقالَ: «يا هذا المَهيب!]

(١) الكبار: هنا الآلهة.
(٢) ابن الإلهة: هو جلجامش لأنّ أمّه الإلهة ننسون.

مِـــنْ أجـــلِ جـــدِّي ذاك «أتْـ ناشْتيمَ» جئتُ، أذا مَعيبْ؟[١]
وإلـى الـذي فـي مـجـمـعِ الـ ـأربـابِ صـارَ لـهُ نـصـيـبْ
كـيـمـا يـفـسِّـرَ لـي الـحـيا ةَ، وما الـممـاتُ، أما يـجيبْ؟»

فـأجـابَ ذاكَ الـعَـقْـرَبُ الـ ـمدهـوشُ مِـنْ هـذا الـكـلامْ:
«ربّـاهُ . . ! أي «جـلـجـامـشٌ»! مـا تـبـتـغـي لا . . لا يُـرامْ
هـذي جـبـالٌ مـا جـرى بـشـعـابِـهـا أبـدًا أنـامْ . .
أعـمـاقُـهـا تـمـتـدُّ سا عـاتٍ مُـضـاعَـفَـةً لـعـامْ
لا نـورَ فـيـهـا بـلْ ظـلامٌ دامـسُ
[الـشّـمسُ تُـشرِقُ والـغـروبُ يـخـالسُ
الـشّـمـسُ تـغـرُبُ والـظّـلامُ الـحـارسُ
الـشّـمـسُ تَغـرُبُ لا تـعـودُ تُـمـارِسُ][٢]

[فلسوف تمضي في الأسى تشكو الألَمْ
حَـرٌّ وقَـرٌّ مـا تُـعـانـي والـنِّـقَـمْ
وبُـكـاءَ نـاحـبـةٍ سـتـبـكـي إن تُـضَـمْ
فاهـدأْ، وعُدْ من حيثُ جئتَ على أَمَمْ»

«جـلـجـامـشٌ» ردَّ الـكِـلَـمْ يـحـدوهُ فـي الـرّدِّ الأَمَـلْ:
«يـا عـقـربَ الـجـبـلِ الأشـمْ يـا حـارسًـا بـابَ الـجَـبَـلْ

(١) أتناشتيم: اختصار أوتنابشتيم.
(٢) جرت مداخلة هنا فيما بين المعقوفتين على الكلمات التي سلمت من التَّلف.

أَتَـظُـنُّـنـي أنـا أرعـوي … ويـروعُـنـي شـيءٌ خـفِـي؟
لا لـسْـتُ أخـشـى، إنّـنـي … أمـضـي إلـى مـا أقـتـفـي
رَغْـمَ الـظّـلامِ وشـرِّهِ، … والـنّـورُ فـيـهِ يـخـتـفـي
رَغْـمَ الـمـسـافـاتِ الـتـي … حـدَّثْـتَـنـي، ذا مـوقـفـي]
هـذي شُـرورٌ، فَـلْـتَـكُـنْ، … حُـزْنٌ وآلامٌ كـبـارْ
قَـرٌّ، وحَـرٌّ قـائـظٌ … نَـوْحٌ، فَـلَـنْ يُـمْـحـى الـقـرار

مـاضٍ أنـا ومُـصَـمِّـمٌ … فـافـتـحْ لـيَ الـبـابَ الـمـنـيـعْ»
فـأجـابَـهُ رَجُـلُ الـعـقـا … رِبِ فـاتـحًـا فـمَـهُ الـمَـروع
مُـتـحـدِّثًـا لِـ«جـلامـشٍ»: … «تـابـعْ»، «جـلامشُ»! يـا شـجـيـعْ!
إنّـي مَـنَـحْـتُـكَ فـاعـبُـرَنْ … جـبـلًا رسـا كـانَ الـضّـلـيـعْ[١]
فَـلْـتَـقْـطَـعَـنَّ جـبـالَـنـا، … وَلْـتَـمْـضِ بـعـدُ فـلا تَـضِـيـعْ

والـبـابَ قـد فـتَّـحْـتُـهُ … والـشـمـسَ فـاعـبُـرْ دربَـهـا»
فـأصـاخ «جـلـجـامـي» لـهُ … وأطـاعَـهُ: «يـا قـربَـهـا!»[٢]

في درب الشّمس

ومضى بدربِ الشّمسِ يجتازُ المسافاتِ الجسامْ
فاجتازَ واحدةً مِنَ السّاعاتِ، [يَغمُرُهُ الظّلامْ[1]
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرّ في ذاكَ المقامْ
واجتاز ثانيةً مِنَ السّاعاتِ، يَغمُرُهُ الظّلام
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرَّ في ذاكَ المقامْ
واجتاز ثالثةً مِنَ السّاعاتِ يَغمُرُهُ الظّلامْ
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرّ في ذاكَ المقام
واجتاز رابعةً من السّاعاتِ يَغمُرُهُ الظّلام
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرّ في ذاكَ المقام
واجتاز خامسة من السّاعاتِ يَغمُرُهُ الظّلام
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرّ في ذاكَ المقامْ
واجتاز سادسةً من السّاعاتِ يَغمُرُهُ الظّلامْ
ما من بريقٍ من شُعاعٍ مرَّ في ذاك المقامْ

إذ ذاكَ حطَّ رحالَهُ ذاكَ الهُمامْ
كيما ينالَ طعامَهُ، كيما ينامْ
حتّى إذا ما نالَ قِسطًا والسّلامْ
قد قام يمشي في الظّلامِ إلى الأمام

(١) الساعات هنا ساعات مضاعفة وهي مقياس بابلي للمسافات.

فـاجـتـازَ واحـدةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
واجـتـازَ ثـانـيـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظَّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرّ فـي ذاك الـمـقـامْ
واجـتـازَ ثـالـثـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ]
واجـتـازَ رابـعـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
واجـتـازَ خـامـسـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
واجـتـازَ سـادسـة مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
واجـتـازَ سـابـعـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
واجـتـازَ ثـامـنـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ

فـعـلا صـراخُـه لـلـسَّـلامْ

واجـتـازَ تـاسـعـةً مـن الـسّـا — عـاتِ يَـغـمُـرُهُ الـظّـلامْ
مـا مـن بـريـقٍ مـن شُـعـا — عٍ مـرَّ فـي ذاكَ الـمـقـامْ
فـإذا بـريـحِ شَـمْـأَلٍ — لَـمَـسَـتْـهُ، هـل قَـرُبَ الـمـرامْ؟
واجـتـازَ عـاشـرةً مـن الـسّـا — عـاتِ فـارتـجَّ الـظَّـلامْ
وأحـسَّ ريـحًـا أنـعَـشَـتْ، — جـاءَتْـهُ مـن خـلـفِ الـغَـمـامْ

قـال: «اقـتـربـتُ» وسـار بـعـ ـضَ سُـوَيْـعَـةٍ نـحـوَ الأمـامْ
وارتـاحَ ثُـمَّـتَ سـارَ أخـ ـرى بـعـدَ عَـشْـرٍ بـالـتّـمـامْ
«شَـمْـشٌ» يـلـوِّح مـن بـعـيـ ـدٍ ظِـلُّـهُ نـورُ الـسّـلامْ[1]

في الجنّة العجائبيّة

حتّى إذا ما تمَّ ثِنْـ   تا عَشْرَةَ اكتملَ الضِّياءْ
وإذا أمامَهُ جَنَّةٌ   شجراءُ من حجرٍ صَفاء
هِيَ من عقيقٍ حُمِّلَتْ   عِنَبًا تدلّى في الهواء
أو لا زُوَرْدٍ حاملٍ   ثَمَرًا به سِحرُ الرُّواء

[ثَمَرٌ تُعاوِدُهُ العيو   نُ فلا تملُّ مِنَ النَّظرْ
ثَمَرٌ تَعلَّقَ في غُصو   نٍ من زُجاجٍ في شجرْ
أو فوقَ قِنديلٍ مُضا   ءٍ من قناديلٍ أُخَرْ
أشجارُهُ ماسٌ ويا   قوتٌ تَجَمَّعَ وانْتَثَرْ

تُسْقى بماءٍ من لُجَيْـ   نٍ في سَواقٍ من ذهبْ
والأرضُ تَمْلَؤُها الجذو   رُ العارياتُ بلا تُرَبْ
وَيُرَصِّعُ المَرْجانُ ها   تيكَ الشُّذورَ كما اللهَبْ
وَتُحَوَّلُ الأشياءُ في   عينِ المُريدِ على الطَّلَبْ

«شَمْشٌ» يُراقبُ سيرَ «جلـ   جامي» هنالكَ في الجِنانْ
ويروعُهُ ما كانَ يَقْـ   صِدُهُ فتًى رَحْبُ الجَنان
ما قادَهُ؟ ما قَصْدُهُ؟   ما شأنُهُ في ذا المكانْ؟!]
غَمَرَ الأسى «شمشًا» فنا   دى: «أينَ تمضي في الزّمانْ؟

إنّ الذي تسعى بهِ … قدَماكَ ذاكَ المستحيلْ
لا.. لستَ تلقى ما تُريـ … ـدُ مِنَ السَّعادةِ يا نبيلْ!»
فأجاب «جلجامي»: «أيا … «شَمْشٌ» أيا «شَمْشُ» الجليلْ!
أتُرى سأجري في البرا … ري للفناءِ أنا العَجول؟

لأنامَ في جَوْفِ الثَّرى … أغفو على مرِّ السِّنين
لا.. دعْ عيوني تَرْقُبُ الـ … أنوارَ تَنْعَمُ باللُّجَيْن[1]
وَلْتَهْرُبِ الظُّلُماتُ يغـ … ـدُ الموتُ مكسوفَ العيونْ
ليسَ الذي عَرَفَ المما … تَ بعائدٍ يا للشُّجونْ!»

[وا قَلْبَ «شَمْشٍ»! رَقَّ مِنْ … حُزْنٍ على هذا الشَّريدْ:
«تلكمْ فتاةُ الحانِ يا … «جلجامشَ» البأسِ الشّديد!
«سيدورِ» تَكْشِفُ ما توا … رى مِنْ خبايا ما تُريد[2]

فَلْتَقْصِدَنْها عِندَ شَطِّ … البَحْرِ تجلُ لك الأمورا
فَلْتَقْصِدَنْها عِندَ شَطِّ … البَحْرِ تسكنُ - فاضْطَرِبْ -
صَنَعُوا لها كوبًا وإبـ … ـريقًا وراقودَ الذَّهَبْ[3]
لَبِسَتْ خمارًا من حريـ … ـرٍ شفَّ فَهْوَ على الطَّلَبْ»
فَمضى إليها مستنيـ … ـرًا، هل ينالُ بها السّرورا؟]

---

(١) اللُّجَيْن: الفضّة وهي هنا رمز الرخاء والرفاه.
(٢) سيدور: سيدوري: هي فتاةٌ من جنس الآلهة (فتاة الحان)، تسقي الخمور للآلهة.
(٣) صنعوا: أي الآلهة.

ومضى يُتابعُ خَطْوَهُ   حتّى يصيرَ إلى الفتاةْ
[وكذا إلى أن صارَ في   شاطئِ بحرٍ كالفراتْ
فإذا فتاةٌ مِثلما قا   لَ الإلهُ لهُ مَهاةْ
تمتاحُ مِنْ راقودِ تِبْ   رٍ كي تُشَعْشِعَها الخمورا]

مِنها دنا «جلجامشٌ»   وَجُلودَ لَيْثٍ يَلْبَسُ
لكنَّهُ في جِسمِهِ   كابْنٍ لِرَبٍّ يُحْرَسُ
ملأ الأسى قلبًا لَهُ   للحُزنِ فيهِ مَحْرَسُ
والوجهُ منهُ شاحبٌ   مِنْ رحلةٍ طالت شهورا

هذي فتاةُ الحانِ تَلْمَحُ من بعيدْ
وبسِرِّها قالَتْ: «هُوَ الرجلُ المَريدْ
ما قصدُهُ!؟»، خافَتْ وقالَتْ: «ما يُريد؟»
وبوجهِهِ للبابِ غلَّقَتِ الوَصيدْ

قد غلَّقتْ بابًا لها   وتعمّدَتْ إيصادَهُ
«جلجامشٌ» سمعَ الصّريـ   ـرَ فساءَهُ إبعادُهُ
وعلى صفيحِ البابِ أسْـ   ـندَ ظهرَهُ إسنادَهُ
نادى فتاةَ الحانِ: «ذا   رجلٌ بدهرٍ آدَهُ

وذبـحْـتُ آسـادَ الـفـلا فَـوْقَ الـجـبـالْ»
قـالَـتْ فـتـاةُ الـحـانِ: «يـا أسـدَ الـرِّجـالْ!
إنْ كـنْـتَ «جـلـجـامـي»، وتـعـنـي مـا يُـقـالْ
إنْ كـنْـتَ قـاتِـلَ مَـنْ قـتـلْـتَ بـلا كَـلالْ

والـحـارسُ الـمِـغـوارُ عَـنْـكُـمُ مـا قَـعَـدْ
فـصـرعْـتَـهُ، وصـرعْـتَ «خـمـبـابـا» الأشـدْ
والـثَّـورُ أَيْ ثـورُ الـسَّـمـا مـنـكَ ارتـعـدْ
وعـلاهُ مـنـكـمُ فَـيْـصَـلٌ وبـهِ خَـمَـدْ

وَذَبَـحْـتَ آسـادَ الـفـلا فـوقَ الـجـبـالْ
فـلـمَ الـهُـزالُ؟ لِـمَ الـضُّـمـورُ؟ ألِـلْـكـلالْ؟

---

(١) الحارس: حارس بوّابة غابة الأرز التي كان يتسلَّط عليها خمبابا.

ولـمَ اكْـتَـأَبْـتَ، وصـارَ لـونُـك فـي اخـتـلال؟
ولـمَ الـتَّـوَجُّـعُ فـي فـؤادِك؟ مـا الـوَبـالْ؟

ولـمَ اسـتـقـرَّ الـكـربُ فـي طـيِّ الـفـؤادْ؟
وعـلا مـحـيّـاكَ اصْـفِـرارٌ مِـنْ سُـهـادْ؟
حَــرٌّ وقَــرٌّ نــاوبــاكَ بــلا رُقــادْ
وتَـهـيـمُ وَحْـدَكَ فـي الـبـراري تُـسْـتـقـادْ»

- «كـيـف لا يـضـمُـرُ مـنّـي الـعـارضـانْ؟
ويُـقِـرُّ الـحُـزْنُ فـي جـسـمـي الـهَـوانْ؟
ويَـقِـرُّ الـكَـرْبُ فـي قـلـبـي لآنْ؟
كـيـف لا يـبـدو بـوجـهـي الـزُّعْـفَـرانْ؟»

هـكـذا «جـلـجـامـشٌ» قـالَ، وقـالْ:
«يـا فـتـاةَ الـحـانِ! يـا ذاتَ الـجـمـالْ!
كـيـفَ لا يـلـفـحُـنـي حـرُّ الـجـبـالْ؟
كـيـفَ لا يُـبـرِدُنـي قَـرُّ الـلـيـالْ؟

كـيـفَ لا أسـري ضـلـيـلًا فـي الـقـفـارْ؟
وصـديـقـي - وا أُخَـيّـا - كـيـف صـارْ؟
ذاكَ مَـنْ قـدْ طـارَدَ الـفَـهْـدَ الـمُـثـارْ
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـوَحْـشَ الـحـمـارْ
كـيـفَ لا أسـري وحـيـدًا فـي الـقـفـارْ؟

وصـديـقـي ذاكَ «إنـكـي» كـيـف صـارْ؟
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـفَـهْـدَ الـمُـثـارْ
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـوحـشَ الـحـمـارْ

ومَـعًـا قَـهَـرْنـاهـا أفـانـيـنَ الـصِّـعـابْ
ومَـعًـا مَـشَـيْـنـاهـا مـعًـا تـلـكَ الـشِّـعـابْ
وبنا، أجلْ، ثورُ السَّما الموتَ استطابْ
وكـذاكَ «خـمْـبـابـا» صـرعـنـاهُ فـغـابْ

ذاك الّـذي أَحْـبَـبْـتُـهُ خِـلِّـي الـخـلـيـلْ
ومـضـى مـعـي عَـبْـرَ الـمـهـالـكِ لا يَـقـيـلْ[1]
ذاكَ الـذي أَحْـبَـبْـتُـهُ «إنـكـي» الـخـلـيـل
ومـضـى مـعـي عَـبْـرَ الـمـهـالـك لا يَـقـيـل
أيُـصـيـبُـهُ سَـهْـمُ الـقـدَرْ؟ أيـنـالُـهُ مَـوْتُ الـبـشَـرْ؟
إنّـي بَـكَـيْـتُـهُ عَـبْـرَةً ظـلَّـتْ تَـدُرُّ ولا تَـقَـرْ
سِـتًّـا وسـبـعًـا مـن لـيـا لٍ بـالـبُـكـاءِ أنـا أُسَـرْ
حـتّـى بـدا دودٌ عـلـى أَنْـفٍ لـهُ حـيـثُ اسـتـقـرْ
فـانـتـابَـنـي هَـلَـعٌ مِـنَ الـمـوتِ الـثّـقـيـلْ
فَـسَـرَحْـتُ فـي الـفـلـواتِ أَشـرُدُ، لا دَلـيـلْ
لـكـنَّ صـدري مُـثْـقـلٌ بـأخٍ مَـغـولْ[2]
وسـرَحْـتُ فـي الـفـلـواتِ أَشـرُدُ لا دَلـيـلْ

(١) لا يقيل: لا يستريح.
(٢) المغول: الذي مات غيلةً وهو هنا إنكيدو الذي غاله الموت.

لـكـنّ صـدري مُـشْـقَـلٌ بـأخٍ مـغـولْ
وسَرَحْتُ في الفَلَواتِ في كلِّ الجهاتْ
لا راحـةٌ لـي، لا سـكـيـنـةَ، لا أُسـاةْ
ذاكُـمْ صـديـقـي قـد حَـبَـبْـتُـهُ ثـمَّ مـاتْ
وإلـى تـرابٍ قـد تـحـوّلَـتِ الـرُّفـاتْ
أَتُـرى سـأرقـدُ مِـثـلَـهُ؟ أَتُـرى أمـوتُ فـلا أُعَـدْ
أم أنّـنـي ألـقـى الـبـقـا أحـيـا أنـا أبـدَ الأبـد
لا الـمـوتَ ألـقـى، لا أرى إلّا نـشـيـطًـا فـي جَـسَـد؟
الـمـوتَ أخـشـى، إنّـه قـدَرٌ فـظـيـعٌ هـل يُـرَدْ؟»
قـالَـتْ فـتـاةُ الـحـانِ: «مـا مَـلِـكٌ عَـلاكْ
لـكـنَّ صـيـدَكَ، يـا مَـلـيـكُ! بـلا شِـبـاكْ
أهـلُ الـسَّـمـا لـمّـا رأَوْا خَـلْـقَ الـورى
حَـبَـسُـوا الـحـيـاةَ بِـهِـمْ ولـلـنّـاسِ الـهـلاكْ

فـافـرَحْ بـيـومِـكَ إذ تـعـيـشُ هُـوَ الـنّـجـاةْ
واجـعَـلْ لـهُ عـيـدًا نـجـا قـبـلَ الـوفـاةْ
والـبـطـنَ أَشْـبِـعْـهُ، «جـلامـشُ» طـيِّـبـاتْ
وامـرحْ، وغـرّدْ، وابـتـسِـمْ، هـذي الـحـيـاةْ

والـجـسْـمَ نـظِّـفْ، والـبَـسَـنْ ثـوبًـا قـشـيـبـا
دلِّـلْ ولـيـدَكَ واجْـعَـلَـنْـهُ فـتـى نـجـيـبـا
واحـمـلْ لـزوجِـكَ غِـبـطـةً، وكُـنِ الـحـبـيـبـا
ذاكُـمْ مـداكُـمُ فـارضَـيَـنَّ بـهِ نـصـيـبـا»

لـكـنَّ «جـلـجـامـيـشَ» لـــ مّـا يـتّـعـظْ أبـدًا فـقـال:
«أيـن الـطّـريـقُ وأيـنَ «أُتْـ نـاشْـتـيـمُ؟» قـولـي، لا مَـحـالْ
كـيـفَ الـوصـولُ إلـيـهِ؟ يـا أخـتـاهُ! كـم أرجـو الـوِصـالْ!
فَـلأقْـطَـعَـنَّ الـبـحـرَ بَـحْـ ـثًـا أو أظـلَّ بـذا الـضَّـلالْ»
قـالـتْ فـتـاةُ الـحـانِ: «أيْ «جـلـجـامـشُ»! مـا مِـنْ مـجـال
هـذي بـحـارٌ عـاصـيـا تٌ، مـا اسـتـقـادتْ لـلـرِّجـالْ
«شَـمْـشُ» الـقـديـرُ يـنـالُـهـا صُـبـحًـا مَـسـاءً، مَـنْ يَـنـالْ
هـذي الـبـحـارَ سـواهُ؟ يـا «جـلـجـامـشُ» الـصَّـعْـبُ الـسُّـؤالْ!
صَـعْـبٌ عـلـيـكَ عـبـورُهـا، وعـبـورُهـا صَـعْـبُ الـمَـنـالْ

فـيـهـا مـيـاهُ الـمـوتِ تَـمْـ نَـعُ مَـنْ يُـريـدُ لـهـا الـعـبـورْ
مِـن أيِّ نـحـوٍ إن سـلـكْـ ـتَ فـلا مـلاذَ سـوى الـقـبـور
وإذا انـتـهـيـتَ إلـى مـيـا هِ الـمـوتِ فَـلْـتَـخـشَ الـدُّثـور
وهُـنـاكَ مـلّاحٌ لِـ«أتـ ـنـاشْـتـيـمَ» فَـلْـيـكـنِ الـنّـصـيـر
فـي تـلـكُـمُ الـغـابـاتِ مُـحـ ـتَـطِـبٌ يَـهُـمُّ عـلـى الـمـسـيـرْ
صُـوَرٌ بـحَـوزتِـهِ لـهـا سِـحْـرٌ عـلـى قـطـعِ الـبـحـورْ
فـاذهـبْ عـسـاهُ أنْ يـكـو نَ مـسـاعـدًا لـك يـا أمـيـر!
أو لا، فـعُـدْ مِـنْ حـيـثُ جِـئْـ ـتَ إلـى «أُروكَ» وَلَـنْ تَـحُـورْ»[1]

حـيـن انـتـهـتْ «سـيـدورِ» مـن نُـصـحٍ تـجـلّـى فـي الـكـلامْ
«جـلـجـامـشٌ» حَـمَـلَ الـحُـسـا مَ وبَـلْـطَـةً مِـثـلَ الـحُـسـامْ

(١) لن تحور: لن تَتَحيّر.

ونضا سِلاحًا خَنْجرًا مِن جنبِهِ خوفَ الحِمامْ
ومضى كَسَهْمٍ، مارقًا في الغابِ، يستهدي المَرامْ

لــــكــــنّــــهُ لــــمّـــا انـــدفـــعْ
كَـــسَــرَ الـــحــجــارةَ، مـــا انـــتَــفَــعْ
وقـــضـــى عـــلـــى كـــلِّ الـــرُّقـــى[1]
مِـــنْ غـــيـــر أنْ يـــدري وقـــعْ

مـــا زالَ يَـــبْـــحَـــثُ مُـــغْـــرَمـــا
[مـــن جـــلـــدهِ ســـالَـــتْ دِمـــا
كـــيـــمـــا يـــصـــيـــرَ لـــمَـــن رأى
فـــيـــهِ الـــخـــلـــودَ فـــيَـــغْـــنَـــمـــا

مِـــنْ بـــعـــدِ قـــهـــرٍ واســـتـــلابِ][2]
ضَـــجَّـــتْ بـــهِ روحُ الـــشَّـــبـــابِ
فـــإذا بـــهِ مـــن «أورْشَـــنـــابـــي»
وجـــهًـــا لـــوجـــهٍ وَسْـــطَ غـــابِ

سَـــرْعـــانَ مـــا قـــالَ الـــرجُـــلْ:

(١) الرُّقى: جمع رُقْية، وهي ما يُستعانُ بها لدفع الأذى كالتّميمة، وهي هنا صور حجريّة كان يستعين بها أورشنابي على قطع مياه الموت، وقد كسرها جلجامش وهو مندفع من حيث لا يقصد.

(٢) ما بين هاتين المعقوفتين نصٌّ إضافي من اجتهاد الناظم لأنّ النصّ الأصليّ الباقي نصٌّ مختصر لا يفي بالغرض.

«مَـــنْ أنـــتَ يـــا هـــذا؟ فَـــقُـــلْ»
قـــالَ الـــفـــتـــى «جـــلـــجـــامـــشٌ»:
«جـــلـــجـــامـــشٌ، إنّـــي الـــبـــطـــلْ

قـدْ جـئْـتُ مِـنْ «أوروكَ» حـيـث يُـقـيـمُ «آنـو» نـا الـعـظـيـم[١]
جُـزْتُ الـجـبـالَ بـرِحـلـةٍ طـالَـتْ إلـى «أوتْـنـاشَـتـيـم»

أَوَ مـا تَـرى يـا «أورْشَـنـابـي»! أنْ تـكـونَ لـيَ الـدَّلـيـلْ؟
عَـلِّـي أرى وَجْـهَ الـخـلـودِ بـوجـهِ ذيّـاك الـجـلـيـلْ»[٢]
فـأجـابَ «أُوشْـنـابـي»: «أيـا أسَـد الـرِّجـالْ!
فـلِـمَ الـهُـزالُ؟ لِـمَ الـضُّـمـورُ؟ أَلِـلْـكـلالْ؟
ولِـمَ اكـتـأبْـتَ وصـارَ لـونُـكَ فـي اخـتـلال؟
ولِـمَ الـتـوجُّـعُ فـي فـؤادِكَ؟ مـا الـوَبـالْ؟

ولِـمَ اسـتـقـرَّ الـكَـرْبُ فـي طـيِّ الـفـؤادْ؟
وعـلا مُـحـيّـاكَ اصْـفِـرارٌ مـن سُـهـادْ؟
حَـرٌّ وقَـرٌّ نـاوبـاكَ بـلا رُقـادْ؟
وتَـهـيـمُ وحـدَكَ فـي الـقِـفـار ولا أَعـادْ»[٣]؟

- «كـيـفَ لا يـضـمُـرُ مـنّـي الـعـارضـانْ؟
ويُـقِـرُّ الـحُـزنُ فـي جـسـمـي الـهـوانْ؟

---

(١) آنونا: إلهنا آنو.
(٢) ذيّاك الجليل: أوتنابشتيم.
(٣) أعادْ: أعادٍ.

ويَـقِـرُّ الـكَـرْبُ فـي قـلـبـي لآنْ؟
كـيـفَ لا يـبـدو بـوجـهـي الـزُّعـفـران؟»

هـكـذا «جـلـجـامـشٌ» قـالَ، وقـالْ:
«أُورْشَـنـابـي»! يـا فـتـى هـذي الـمَـحـالْ!
كـيـفَ لا يَـلْـفَـحُـنـي حَـرُّ الـجِـبـالْ؟
كـيـفَ لا يُـبْـرِدُنـي قَـرُّ الـلـيـال؟

كـيـفَ لا أسـري ضـلـيـلًا فـي الـقِـفـارْ؟
وصـديـقـي - وا أُخَـيّـا! - كـيـفَ صـار!؟
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـفـهـدَ الـمُـثـارْ
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـوحـشَ الـحـمـارْ

ومـعًـا قـهـرنـاهـا أفـانـيـنَ الـصِّـعـابْ
ومـعًـا مَـشَـيْـنـاهـا مـعًـا تـلـك الـشِّـعـابْ
وبنا، أجلْ، ثورُ السَّما الموتَ استطابْ
وكـذاكَ «خـمـبـابـا» صَـرَعْـنـاهُ فـغـابْ

ذاكَ الـذي أَحْـبَـبْـتُـهُ خِـلِّـي الـخـلـيـلْ
ومـضـى مـعـي عَـبْـرَ الـمـهـالـكِ لا يَـقـيـل
ذاكَ الـذي أحـبَـبْـتُـهُ «إنـكـي» الـخـلـيـل
«ومـضـى مـعـي عـبـرَ الـمـهـالـكِ لا يَـقـيـل
أيُـصـيـبُـهُ سَـهْـمُ الـقـدرْ؟ أيـنـالُـهُ مَـوْتُ الـبـشَـرْ؟

ستًّا وسبعًا مِن ليا   لِ بالبُكاءِ أنا أُسَرْ
حتّى بدا دودٌ على   أنْفٍ لهُ حيثُ استقرْ
فانتابَني هَلَعٌ مِنَ الموتِ الثَّقيلْ
وسَرَحْتُ في الفَلَواتِ أسري لا دَليل
لكنَّ صَدري مُثْقَلٌ بأخٍ مَغولْ

وسَرَحْتُ في الفَلَواتِ أسري لا دليلْ
لكنَّ صَدري مُثْقَلٌ بأخٍ مَغولْ
وسَرَحْتُ في الفلواتِ في كلِّ الجهاتْ
لا راحةٌ لي، لا سكينةَ، لا أُساةْ
ذاكم صديقيَ قد حَبَبْتُهُ ثمَّ ماتْ
وإلى تُرابٍ صارَ أو بَعْضِ الرُّفاتْ
أَتُرى سَأَرْقُدُ مِثلَهُ   أَتُرى أموتُ فلا أُعَدْ
أم أَنَّني ألقى البقا   أحيا أنا أبدَ الأَبَدْ
لا الموتَ ألقى لا أرى   إلّا نشيطًا في جَسَدْ
الموتَ أخشى، إنّهُ   قَدَرٌ فظيعٌ، هل يُرَدْ؟»
وأضافَ «جلجاميشُ» يعني ما يقولْ:
«بلْ أينَ «أوتْناشْتيمُ»؟ كيف له الوصول؟
ولَأَقْطَعَنَّ البحرَ سَعْيًا للأصولْ[1]
أو إنّني هَيمانَ أبقى في التُّلول»

(١) الأصول: يقصد بها أوتنابشتيم لأنّه أصل الإنسان وحافظه بعد الطوفان البابلي بحسب معتقداتهم.

فأجابَ «أوشْنابي»، وقالَ لهُ: «يداكْ،[١]
حالتْ يداكَ[٢]، فلا عبورَ لمبتغاكْ
قَدَماكَ قد حَطَمتْ تَعاويذًا هناكْ،
صُوَرُ العبورِ تهشَّمَتْ، كانتْ رَجاكْ

لكنْ تُرى، هل نَعْدَمَنَّ وسيلةً كي نَعْبُرا؟
إمسِكْ بكفِّك بلطةً واهبطْ إلى غابٍ ترا
شجرًا سَموقًا عاليًا فاقطعْهُ مِن أَصْلِ العُرى
جِئني بِهِ، بالقارِ مَطْ لِيًّا، بقارٍ أسمرا»

«جلجامشٌ» سمِعَ الكلا مَ مِنَ الأميرِ فأعجلا[٣]
وبكفِّهِ هُوَ بَلْطةٌ والسَّيفُ كيلا يُخْذَلا
في الغابِ قد قَطَعَ المَرا ديَ فاستَدَقَّ وطوَّلا[٤]
طُلِيَتْ بقارٍ أَسْوَدٍ كيلا تَصيرَ إلى بِلى

رَكِبا معًا مَتْنَ السّفيـ نةِ، ثمَّ خاضا في العُبابْ
رَكِبتْ مُتونَ الموجِ تعـ لو ثمَّ يُخْفيها الضّبابْ
مِنْ بعدِ ثالثِ يَوْمِهِمْ شهرًا ونِصفًا بالحسابْ[٥]
قطعُوا معًا، وتجشَّموا هَوْلًا وخَوْفًا واضطرابْ

(١) أوشنابي: اختصار أورشنابي.
(٢) حالَتْ يداكَ دونَ العبور.
(٣) الأمير: أمير البحر أورشنابي ملّاح أوتنابشتيم.
(٤) المَرادي: جمع مَردي: خشبة يدفع بها الملّاح السّفينة.
(٥) يومهم: الضمير يعود إلى الثلاثة جلجامش وأورشنابي والسفينة. شهرًا: منصوب بالفعل «قَطعوا» في البيت التّالي.

حتّى إذا وصلوا معًا حَدَّ المماتْ
قد قالَ «أوشنابي» أيا «جلجامِ» هاتْ
هيّا وجدِّفْ، وادَّخِرْ عَزْمًا لآتْ
لكنْ مياهَ الموتِ لا تَلْمُسْ، ولاتْ.. (١)
جدِّف بمِجدافٍ وآخرَ ثانيا
ثلِّثْ وربِّعْ واستفِضْ مُتواليا
ما زالَ «جلجامي» يُجَدِّفُ حادِيا
فُلْكَ العبورِ مُؤمِّلا بهِ راجيا

قصة الطوفان

جلجامش عند أوتنابشتيم

حتّى إذا نفدَتْ جميعًا من يَدَيْهِ
حلَّ الحِزامَ بخَصْرِهِ، وبَدَتْ بفيهِ
بَسَماتُهُ مستبشرًا، يرنو بتيهِ
ونضا ثيابًا كالشِّراعِ لكي يُريهِ(١)

وهُناكَ من بُعْدٍ رنا أوتْناشتيمْ
ومُناجيًا في سرِّهِ وَهْوَ العليم:
«فيمَ تكسَّرَتِ التّمائمُ في الرَّقيم؟
ولمَ معَ الملّاحِ ذا الرجلُ العظيم؟

[لكنّهُ رجلٌ غريبٌ لا نسيبْ
يأتي لأمرٍ ما لهُ فيهِ نصيبْ»
حتّى إذا ما صارَ في المنحى القريب
لم يدَّخِرْ سرًّا عَنِ الرّجُلِ المَهيبْ:
«قد جئتُ من «أوروكَ» حيـ ـثُ يُقِيمُ «آنو» نا العظيمْ
جُزْتُ الجبالَ برِحلةٍ طالَتْ إلى «أوتْناشَتيم»

هلّا رَأَيْتُكَ مُرشدي ومعلِّمي كيف السّبيلْ؟

(١) يُريه: أي يُري أوتنابشتيم الذي يقصده.

عـلّـي أرى وجـهَ الـخـلـو دِ ولا خـلـودَ بـلا دلـيـل
فأجابَ «أوتْناشْتيمُ»: يا رجلَ الجلالْ
فلِمَ الهُزالُ؟ لِمَ الضُّمورُ؟ أللكلالْ؟
ولمَ اكتأبْتَ وصارَ لونُك كالزّوالْ؟
ولمَ التَّوَجُّعُ في فؤادِكَ؟ ما الوَبال؟

ولمَ استقرَّ الكَرْبُ في طيِّ الفؤادْ؟
وعلا محيّاكَ اصْفِرارٌ منْ سُهادْ
حَرٌّ وقَرٌّ ناوباكَ بلا رُقادْ
وتَهيمُ وحدَكَ في البراري تُستَقادْ؟»]

«كيفَ لا يَضْمُرُ منّي العارضانْ؟
ويُقِرُّ الحُزْنُ في جسمي الهوانْ
ويَقِرُّ الكَرْبُ في قلبي لآنْ
كيفَ لا يبدو بوجهي الزَّعفرانْ؟»

[هكذا «جلجامشٌ» قالَ، وقالْ:
«آهِ... يا صاحِبِ في هذي المَحالْ!
كيفَ لا يَلْفَحُني حَرُّ الجِبال؟
كيف لا يُبْرِدُني قرُّ الليال؟]

كيف لا أسري ضليلًا في القِفار
وصديقي - وا أُخَيّا..! - كيفَ صار

ذاك مَـنْ قـد طـارَدَ الـفَـهْـدَ الـمُـثـار
ذاكَ مَـنْ قـد طـارَدَ الـوَحْـشَ الـحِـمـارْ
كـيـفَ لا أسـري ضـلـيـلًا فـي الـقِـفـارْ؟
وصـديـقـي - وا أُخَـيّـا! - كـيـفَ صـارْ؟
ذاك مَـنْ قـد طـاردَ الـفَـهْـدَ الـمُـثـارْ
ذاكَ مَـنْ قـد طـاردَ الـوحـشَ الـحـمـارْ

وَمَـعًـا قـهـرنـاهـا أفـانـيـنَ الـصِّـعـابْ
وَمَـعًـا مَـشَـيْـنـاهـا مَـعًـا تـلـكَ الـشِّـعـابْ
وبنا، أَجَلْ، ثَوْرُ السَّما الموتَ استطابْ
وكـذاكَ «خـمـبـابـا» صَـرَعْـنـاهُ فـغـابْ

ذاك الـــذي أســـرى مـــعـــي   عَـبْـرَ الـمـهـالـكِ فـي حَـذَرْ
وقــضــى عــلــى أُسُــدِ الــفــلا   فــوقَ الــرُّبــا تــحــتَ الــشّــجــرْ
أَيُــصــيــبُــهُ سَــهْــمُ الــقَــدَرْ   أيــنــالُــهُ مــوتُ الــبــشــرْ
ســتًّــا وســبــعًــا مِــن لــيــا   لــيَ بــالــبــكــاءِ أنــا أُسَــرْ
حــتّــى بــدا دودٌ عــلــى   أنــفٍ لــهُ حــيــثُ اســتــقــرْ

فـانـتـابَـنـي هَـلَـعٌ مـن الـمـوتِ الـثَّـقـيـلْ
وسـرَحْـتُ فـي الـفَـلَـواتِ أسـري لا دلـيـل
لـكـنّ صـدري مُـثْـقَـلٌ بـأخٍ مَـغـولْ
وأَهـيـمُ فـي الـفَـلَـواتِ مـا بَـيـنَ الـتُّـلـول
لـكـنّ صـدري مُـثْـقَـلٌ بـأخٍ مَـغـول
لا راحـةٌ لـي، لا سـكـيـنـةَ، لا أُفـول
وإلـى تُـرابٍ صـارَ جُـثْـمـانُ الـخـلـيـل

أَوَلَسْتُ أَرْقُدُ مِثْلَهُ وأروحُ في نومٍ طويلْ
وإليكَ، «أوتْناشْتيمُ»! جُزْتُ أنا القِفارْ
وعبرْتُ أطرافَ البلادِ بلا قرارْ
واجتَزْتُ أدغالَ الجبالِ بلا انتظارْ
وقَطَعْتُها، لا أنثني، كُلَّ البحارْ

والنَّومَ عَذْبًا لم أنلْ منه الكِفايه
أبليْتُ جسمي في المسير إلى النِّهايه
سَكَنَ الضّنى بمفاصلي من أجلِ غايه
فَوَصَلْتُ ذاكَ الحانَ إذ كانَ البِدايه
وقَتَلْتُ وَحْشَ الغابِ من أجلِ الكساءِ أَوِ الطّعامْ
لم أَعْفُ عن دُبٍّ ولا نَمِرٍ ولا أَسَدٍ هُمامْ
لم أعفُ عن ضَبُعٍ ولا وَعِلٍ ولا فَهْدٍ خِصام
وجميعَ ماشيةِ الفلاةِ قنصْتُها بشَبا الحُسامْ
[مُتجشِّمًا كلَّ المصاعبِ كي أنالَ بها المَرامْ
هلّا نظرْتَ لما أعاني يا قَصِيُّ مِنَ الحِمامْ![1]
فأنلْتَني سِرَّ الحياةِ، وما يُعانيهِ الأنام[2]
ومنحْتَني عُمُرًا لأحيا خالدًا لا أُسْتَضامْ»
فأجابَ ذيّاكَ القَصِيُّ: «العَوْدُ أحمدُ بالسَّلام]

أو ما ترانا قد بَنَيْنا ما بَنَيْنا للفَناءْ

(١) القصيّ أو القاصي: من ألقاب أوتنابشتيم.
(٢) ما يعانيه الأنام: الموت.

وعــقــودُنــا لا لــيــسَ تــنــجــو مِــن تَــصــاريــفِ الــقــضــاء
مــا ظــلَّ مــيــراثٌ لِــقــوْمٍ يــحــفــظــونَــهُ لــلــبَــقــاءْ
والــحِــقــدُ لا يــبــقــى بــأرضٍ كــلُّ شــيءٍ لانــقــضــاءْ
والــنَّــهــرُ إنْ فــاضــت مــيــاهُــهُ فــالــمــيــاهُ إلــى ارتــدادْ
مــا دامَ شــيءٌ فــي الــوجــودِ مــن الــسُّــرورِ أوِ الــحِــدادْ
والــنَّــومُ بــعــضُ الــمــوتِ فــاعــلــمْ هــكــذا يــمــضــي الــعِــبــاد
كــلٌّ تَــســاوى فــي الــمــمــاتِ فــلا مُــريــدَ ولا مُــراد

عَــقَــدَ «الأنــونــاكــي» بــيــومٍ مَــجــمَــعــا
«آرورُ» قــد كــتــبَــتْ عــلــيــنــا مَــصْــرَعــا
وجــمــيــعُــهُــمْ جَــعَــلــوا الــحــيــاةَ الــمــطــمَــعــا
أمــا الــمــمــاتُ فــلــلــورى، فَــلْــنَــخْــضَــعــا
ولْــيــبــقَ سِــرًّا حَــيْــنُــنــا مُــتــلــفِّــعــا»

قــال الــفــتــى «جــلــجــامشٌ»: «هــذا مُــحــالْ
إنّــي أراكَ كَــشَــكْــلِــنــا مــثــلَ الــرِّجــالْ!
إنّــي أراكَ كَــشَــكْــلِــنــا مِــثــلَ الــرِّجــالْ!
بــيــنــا رأيْــتُــكَ بــالــخــيــالِ بــلا مِــثــال
رَجُــلًا بــدا فَــذًّا عــلــى وَشْــكِ الــقــتــالْ

والآنَ قــد رُفِــعَ الــسِّــتــارُ فــلا أراكْ
إلّا رَخِــيًّــا فــوقَ جــنــبِــكَ أو قــفــاكْ..!
قلْ لي، بحقِّك، كيف صِرْتَ لمبتغاكْ
نِــلْــتَ الــحــيــاةَ وجُــزْتَ أحــكــامَ الــهــلاكْ»

فـأجـابَ «أوتْـنـاشـتـيـمُ» ردَّ لـه الـجـواب:
«إنّـي سـأَكـشِـفُ مـا تـوارى فـي الـحـجـابْ
أسـرارَ آلـهـةِ الـسَّـمـا وَفْـقَ الـطِّـلابْ»:

أوتنابشتيم يحكي
قصّة الطوفان

أرأيتَ «شوريباكَ»؟ أنتَ رأيتَها؟[(١)]
أَعَرَفْتَها عندَ الفُراتِ؟ أَزُرْتَها؟
شاخَتْ معَ الأربابِ، كنْتُ سكنْتُها
قالوا: بطوفانٍ سنجعلُ مَوْتَها

كانوا هُناكَ أبوهُمُ «آنو» العظيمْ
وكذاكَ «إنليلُ» المحاربُ واللئيمْ
وكذاكَ «إينوجي» وزيرُهمُ المقيمْ[(٢)]
وكذاكَ «إنجيكو إيا» ذاكَ الحليم

حتّى «نِنورتَ» مُمَثِّلًا   لهُمُ جميعًا قد خَطَبْ
فأتى «إيا» بِقَرارِهِمْ   يحكي إلى كوخِ القَصَبْ:
«إسْمَعْ حديثي، إنّني   أحكي حديثًا لا يُغَبْ[(٣)]
يا نَجْلَ «أوبارا» أيا   ذاكَ الفتى! رَجُلَ الطَّلَبْ[(٤)]

---

(١) شوريباك: اسم مدينة قبل الطوفان البابلي وهي على بعد ١٨ ميلًا شمال غَربيّ أوروك، واسمُها اليوم «فارا».
(٢) إينوجي: إله الرّيّ.
(٣) لا يُغَبّ: لا يؤجّل أي إنّه حديث معجّل.
(٤) نجل أوبارا: هو أوتنابشتيمْ.

قـوِّضْـهُ بـيـتَـكَ، واصـنـعَـنَّ سـفـيـنـهْ
واهْـجُـرْهُ مـجـدَكَ لا تَـظَـلَّ رَهـيـنـهْ
أَنْـقِـذْ حـيـاتَـكَ، واحـفَـظَـنَّ قَـريـنـهْ
واحـمـلْ بُـذورَ عـظـيـمـةٍ ومَـهـيـنـه

اِبـنِ الـسَّـفـيـنـةَ وَفْـقَ مِـقـيـاسٍ حـكـيـمْ
الـطُّـولُ مـنـهـا عَـرْضُـهـا كـي تـسـتـقـيـم»
لمّا سمعْتُ القولَ قُلتُ: «"إيا" العظيم!
مَـهْـلًا فـإنّـي مُـنْـجِـزٌ أَمْـرَ الـحـلـيـمْ

لـكـنّـمـا مـا لـسْـتُ أعـلـمُـهُ أنـا
كيف الجوابُ عنِ السّؤالِ: لـمَ البِنا؟»[١]
و«إيـا» أجـابَ فـقـال: «يـا رجـلَ الـدُّنـا!
هـاكَ الـجـوابَ، وقُـلْـهُ قـولًا هَـيِّـنـا:

«إنـلـيـلُ» يَـكْـرَهُـني فـآنَ لـيَ الـرَّحِـيـلْ،
لا.. لسْتُ أنظرُ ما ورائيَ، مستحيل،
سأعيشُ في الأعماقِ عندَ «إيا» الجليل[٢]
بَعْدي سَيُمْطِرُكم هو الخيرَ الجزيل[٣]
طـيـرًا وأسـمـاكًـا سـتَـسْـبَـحُ بـاتِّـئـادْ

(١) البنا: البناء أي بناء السفينة.
(٢) الأعماق: هنا الأعماق المائيّة المسمّاة «آبْسُو» حيث يعيش إيا.
(٣) هو: أي الإله إنليل.

والأرضُ تُفْعَمُ بالغلالِ مِنَ الحَصادْ[١]
وإذا أتى غَسَقُ المساءِ على العِباد
فأبو العواصفِ مُمْطِرٌ قمحَ المَعادْ»[٢]
في الفجرِ معْ إطلالةِ الصُّبْحِ انتشرْ
حولي أُناسٌ يَسْأَلونَ عنِ السَّفرْ:
[ما السرُّ في صُنْعِ السَّفينة؟ ما الخبرْ؟»
فأَجَبْتُهُمْ: «هذا رحيلٌ مُنْتَظَرْ

إنليلُ يكرَهُني فآنَ ليَ الرَّحيلْ،
لا.. لسْتُ أنظر ما ورائيَ، مُستحيلْ،
سأعيشُ في الأعماقِ عند «إيا» الجليلْ،
بعدي سيُمْطِرُكُمْ هو الخيرَ الجزيل

طيرًا وأسماكًا ستَسبَحُ باتِّئادْ
والأرضُ تُفْعَمُ بالغِلالِ مِنَ الحَصادْ
وإذا أتى غَسَقُ المساءِ على العِبادْ
فأبو العواصفِ مُمْطرٌ قمحَ المَعاد»]

فتواردَ الأطفالُ قارًا يَحمِلون

(١) الغلال من الحصاد: ما يحصده الطّوفان من أجساد البشر وممتلكاتهم وهنا في الكلام إلغاز مقصود.
(٢) قمح المعاد: قمح الآخرة، شبّه قطرات المطر والبرد بحبّات القمح، وأبو العواصف: إله العواصف.

أمّــا الــكــبــارُ فــكــلُّــهُــمْ يــتــعــاونُــونْ
جَــلَــبُــوا الــلّــوازمَ كــلَّــهــا لا يَــأتــلــون(١)
في خمسةٍ أتـمَـمْـتُ هَـيْـكَـلَـها المصون(٢)
فـإذا مِـسـاحـةُ سَـطْـحِـهـا «إيـكـو» وَحـيـد(٣)
وعــلــوّهــا مِــئــةٌ وعــشْــرٌ أو يَــزيــد(٤)
أتـمَـمْـتُ هَـيْـكَـلَـهـا بـدا الـشَّـيءَ الـوَطـيـدْ
وجَـعَـلْـتُـهـا طـبَـقـاتِـهـا سـتًّـا عـديـدْ

وقَـسَـمْـتُ كـلًّا مـنْ طـوابِـقِـهـا سُـبـاعْ
وقَـسَـمْـتُ أرضـيّـاتِـهـا صـارتْ تُـسـاعْ
وعــلــى جــوانــبــهــا مَـصَـدّاتٌ تِـبـاعْ
ومـضـاربٌ لِـلْـمـا، وَوَسَّـعْـتُ الـشِّـراع(٥)

ومَـؤُونـةً كُـبـرى جَـعَـلْـتُ بـجـوفِـهـا
زِفـتًـا وقـارًا قـد وَضَـعْـتُ بِـفُـرْنِـهـا
بـالـزّيـتِ قـد نـقّـعْـتُ كـلَّ جـروفِـهـا(٦)
وخَـزَنْـتُ زيـتًـا كـافـيًـا بـدروجِـهـا

وذَبَحْتُ لِلصُّنّاعِ خِرفانًا كثيره
وعجولَ أبقارٍ ذبحْتُ لهُمْ كبيره
وسَقَيْتُهُمْ مِنْ خمرةٍ كانتْ نَميره
وكماءِ يَنْبوعٍ تواردَ من بُحَيره

ومزجْتُ أحمرَها بمعصورٍ فريدْ
ومَزَجْتُ أبيضَها بزيتٍ لا يَزيد[١]
غاصتْ يدايَ... وفي الدّهونْ
والكلّ راحوا يرقصون
لَكأنّهم في رأسِ عامٍ يَقْصُفون

في سابع الأيّامِ جُهِّزتِ السّفينهْ
صارتْ بلُجِّ الماءِ ثُلْثاها رهينهْ

ذَهَبًا ملكْتُ وفضّتي صارا إليها
وبذورُ أحياءِ الدُّنا صارتْ إليها
أهلي وأحبابي أتَوا صاروا إليها
وطرائدٌ في البَرِّ قد صارتْ إليها[٢]

مِنْ بَعْدِ ما عبَّأْتُها قدْ حدَّ «شمشٌ» مَوْعِدا:
«إمّا بدا مَطَرٌ مَساءً هائِلٌ وتَوَعَّدا

(١) لا يزيد: أي لا يزيد الزيت الممزوج بالخمرة عن حدّ الكفاية والاعتدال.
(٢) صارت إليها: هكذا في الأصل وقد تكرّرت في نهايات الأبيات الأربعة.

فـادخُـلْ إلـيـهـا مُـغْـلِـقًـا أبـوابَـهـا وتـمـدَّدا»
وأتـى الـمـسـاءُ بِـوَعْـدِهِ، بـعـواصـفٍ قـد أزبـدا

قـلَّـبْـتُ طَـرْفـي فـي الـسَّـمـا ءِ أُراقِـبُ الـجـوَّ الـغَـضـوبْ
قـد كـانَ جَـوًّا مُـرْعِـبًـا فـدَخَـلْـتُ فُـلْـكـي لا أَؤُوبْ
غَـلَّـقْـتُ بـابَـهُ مُـحْـكَـمًـا، ويـقـودُهُ «بـوزو» الأريـبْ[1]
أسـلـمْـتُـهُ فُـلْـكـي بـمـا فـيـهِ، وقـلـت: «قُـدِ الـمَـهـيـب»

وإذا الـصّـبـاحُ أتـى فـفـي الـ آفـاقِ سَـوْداءُ الـغـيـومْ
«آدادُ» فـيـهـا صـارخٌ صـوتًـا يُـجَـلْـجِـلُ كـالـظَّـلـوم[2]
«شـولاتُ» يـسـبـقـهـا و«خـا نـيـشٌ» نـذيـرَي سُـوءِ شـوم[3]
ورمـى «أريـجـالُ» الـدّعـا ئـمَ فـاسْـتُـبِـيـحَـتْ لـن تـقـوم[4]

ثـمَّ ابـتـدا «نـيـنـورتَ» يَـفْ تـحُـهـا الـسُّـدودَ عـنِ الـمـيـاهْ
قَـذَفَ «الأنـونـاكـي» مَـشـا عـلَـهُـمْ، أضـاءَتْ مـا نـراه[5]
«آدادُ» ثَـوْرَتُـهُ عـلَـتْ وتـجـاوزَتْ حَـدَّ الـسَّـفـاهْ
قـد حـوَّلـتْ نـورَ الـدُّنـا لـيـلًا عَـتِـيًّـا فـي سَـمـاه

والأرضُ تـلـكَ تـحـطَّـمَـتْ وتـكـسَّـرَتْ مـثـلَ الـجِـرارْ
ثـارَتْ عـواصـفُ لـيـلـةً وكـذاكَ فـي طـولِ الـنَّـهـارْ

(١) بوزو: هو بوزو - آموري ملّاح سفينة الطوفان البابلي.
(٢) آداد: هو إله العاصفة أو إله الطّقش، ومن أسمائه «حدد».
(٣) شولات وخانيش: رسولا الإله «آداد» وهما من الآلهة الصغيرة. وشوم تخفيف شؤم.
(٤) أريجال: هو «نرجال» زوج إلهة العالم السفلي «أرشكيجال».
(٥) الإشارة هنا إلى البرق واللمع.

وتـــزايَـــدَتْ سُـــرُعـــاتُـــهـــا لا . . لا جـبـالَ عـلـى الـقِـفـار
والـنّـــاسُ كـــلُّـــهُـــمُ قَـــضَـــوْا لا . . لا كِـــبـــارَ ولا صِـــغـــارْ

لا الـبِـنْـتُ تـعـرفُ أمَّـهـا وأخٌ أخـــــــاهُ لا يـــــــرى
أهـلُ الـسَّـمـا أَعْـمَـتْـهُـمُ تِـلْـكَ الـعـواصـفُ فـي الـورى
ذُعِـروا وخـافُـوا كـلُّـهُـمْ هَـرَبُـوا إلـى «آنـو» سُـرى
رَبَـضُـوا جـمـيـعًـا خـارجًـا مِـثـلَ الـكِـلابِ عـلـى الـثَّـرى
فـي رِعْـدَةٍ، يـا وَيْـلَـهُـمْ «عـشـتـارُ» تـصـرُخُ مـا جـرى
وكـأنَّـهـا تـلـقـى الـمُـخـا ضَ فَـتَـسْـتَـغـيـثُ وأكـبـرا

وتَـنـوحُ سـيّـدةُ الـسَّـمـا: - يـا صـوتَـهـا حـلـوَ الـرّنـيـن[1] -
آلـتْ إلـى طـيـنٍ عـفـيـ نٍ كـلُّ هـاتـيـكَ الـسِّـنـيـنْ
مِـنْ أجـلِ شـرٍّ فُـهْـتُـهُ فـي مَـجْـمَـعٍ عَـقَـدُوا لـحـيـنْ
يـا لـيـتـنـي مـا فُـهْـتُـهُ مـا قـلـتُـهُ، إنّـي الـحـزيـن
أأنـا أَمَـرْتُ الـحـربَ تَـحْـ صُـدُ مِـلَّـتـي!؟ أمـرٌ مُـهـيـنْ!؟

أأكـونُ حَـطَّـمْـتُ الـعـبـا دَ، وقـد خَـلَـقْـتُ، كـمـا الـجِـرارْ؟
هـا إنّـهُـمْ كـصِـغـارِ أسـ ـمـاكٍ تَـعـومُ عـلـى الـبـحـارْ
وبـكـى «الأنـونـاكـي» لـهـا وتَـهـالـكُـوا، يـا لَـلـدَّمـارْ
حَـجَـبُـوا بـأيـديـهِـمْ مـبـا سِـمَ قـدْ بـكَـتْ حـتّـى الـصَّـغـار

الأرضُ تَـغْـرَقُ، والـرِّيـا حُ عـواصِـفٌ مُـتَـوالِـيَـهْ

(١) سيّدة السماء: عشتار.

مَـطَـرٌ غــزيــرٌ والـسُّـيـو لُ جَـرُوفَـةٌ مُـتـعـالـيـهْ
هِـيَ سِـتَّـةٌ أيّـامُـهـا، والأرضُ أضـحَـتْ خـالـيـه
حـتّـى إذا جـاء الـمـسـا مـن بـعـدِ سِـتٍّ قـاسـيـه[1]
نـامَـتْ عـلـى شُـطـآنِـهـا أمـواهُ بـحـرٍ طـاغـيـهْ
بـحـرُ الـمـيـاهِ، وقـد هـدا، أمـواجُـه مُـتَـراخِـيـهْ[2]
وعـواصِـفٌ، كـانَـتْ تُـهـ بُّ عَـتـيّـةً، مُـتـهـاديـه
أمـواهُ طُـوفـانِ الـبـحـا رِ تَـراجَـعَـتْ مُـتَـتـالـيَـهْ
وفـتـحْـتُ أبـوابَ الـنّـوا فـذِ، فـاهـتـدَيْـتُ بـبـاديـه[3]
وعَـلِـمْـتُ أنّ خَـيـالَ «شـمـ شِ» قـد دنـا لـلـسّـاريـه
ورأَيْـتُ بَـحْـرًا هـادئًـا أطـرافُـهُ مُـتـواريِـه
والـنّـاسُ طـيـنًـا مُـنْـتِـنًـا صـاروا، أتـلـكَ الـقـاضـيـه؟

كـانَـتْ جُـسـومُ الـنّـاس تـسـ بَحُ فـي الأعـالـي طـافـيـه
فـسـقـطْـتُ أبـكـي، إنّـنـي بـالـدّمـعِ أصـنَـعُ سـاقـيـه
ونـظَـرْتُ أسـتـجـلـي الـبِـحـا رَ حُـدودَهـا الـمـتـنـاهـيـه
مـنْ خَـلْـفِ ثِـنـتَـيْ عَـشْـرةٍ مـن سـاعـةٍ هـي قـاصـيـه[4]
قِـطَـعٌ مـن الأرضِ الـتـي قـد أُغْـرِقَـتْ هـيَ بـاديـه
وعـلـى «نَـصـيـرٍ» حـطَّ فُـلْـ كـي واسـتـقـرَّ كـراسـيـه[5]

(١) ستّ: ستّ لَيالٍ.
(٢) هدا: تخفيف هدأ.
(٣) الباديه: هنا الشمسُ أو أشعّتها.
(٤) ساعة قاصيه: ساعة مضاعفة مقدارها بالمقاييس الحاليّة ١٠,٨ك م. ثِنْتَي عَشْرةٍ: اثنتَي عَشْرةَ.
(٥) نصير: اسم جبل رست عليه سفينة الطّوفان البابليّ، وهو الآن جنوب نهر الفرات الأدنى في الجزيرة العليا، في تركيا الآن.

سِــــتٌّ لَــــيــــالٍ عَـــدُّهـــا   وسـفـيـنـتـي بـهِ جـاثـيـه

حـتّـى إذا فـي سـابـعِ الــ   أيّـامِ أطـلَـقْـتُ الـحَـمـامْ
طـارَتْ بـعـيـدًا ثـمَّ عـا   دَتْ لـم تـجِـدْ شـيـئًـا أمـامْ
وكـذا الـسُّـنـونـو: «يـا سـنـو   نـو! رُح» فـعـادَ لـكـي يـنـامْ
أمّـا الـغـرابُ وقـد تَـرَكْ   تُـهُ فـاسـتـقـرَّ عـلـى مُـقـامْ
واخـتـارَ أن يـبـقـى هـنـا   لـكَ فـي مُـقـامٍ لـلـطّـعـامْ
فـتـركْـتُ أطـيـارَ الـسَّـمـا   تـغـدو وتـمـرحُ فـي سَـلام

ورفَعْتُ أُضْحِيَةً إلى ... آلِ السّما فوقَ الإكامْ
سَبْعًا قُدورًا طافيا ... تٍ قد رفَعْتُ على الضِّرام
وَلِمثْلِها أنا رافعٌ ... والنّارُ تُضْرَمُ باحتدام
ووقودُها قَصَبٌ وأَرْ ... زٌ ثُمَّ آسٌ باهتمام
لِتُشَمَّ منهُ رَوائحٌ ... تَحلو لآلهةٍ عِظام
وَصَلَتْ روائحُهُ هنا ... لكَ فاستُثِيروا للطَّعام
مِثْلَ الذُّبابِ تجمَّعُوا ... يتهافتونَ بلا اختصام

ولكنْ إذ دَنَتْ «عَشتارُ» منهُمْ ... وكانَتْ رَبّةً للكونِ كُبْرى
وكانَ مَصاغُها عِقْدًا كريمًا، ... و«آنُ» أعدَّهُ ماسًا وتِبرا[1]
«ألا يا أيُّها الأربابُ - قالَتْ - ... وعِقدي زانَني جِيدًا وصَدْرا
كما لمْ أنْسَهُ أبدًا فإنّي ... سأذكرُ ما جرى يومًا ومرّا
كُلُوا قُربانَكم هذا جميعًا ... و«إنليلٌ» سيُبْعَدُ عنهُ قَسْرا
لأنَّهُ أَعْمَلَ الطّوفانَ يَفْني ... عبادِيَ ما تروّى إذ أقرّا»
ولمّا أنْ دنا «إنليلُ» ثارَتْ ... ثوائرُهُ لِفُلْكٍ إذ تقرّى:[2]
«أآلهةَ «الإجيجي» ما فعلتُمْ؟ ... أَثَرْتُمْ غَضْبتي بالقَهْرِ قَهْرا[3]

(١) آنُ: هكذا عند السومريّين وعند البابليّين «آنو».
(٢) تَقَرَّى: تَتَبَّعَ وهنا تتبّعَ بالنظر.
(٣) الإجيجي: اسم جماعي لآلهة السماء العظام.

وأبـنـاءُ الـفـنـا لا . . مـا تَـفـانَـوا غـدًا أنسـالُـهُـمْ في الأرضِ تَـتْـرى»
فـقـال «نِـنورْتَ»: «يا ربًّا شـديـدًا! أغـيـرُ «إيـا» يـكـونُ لِـذا مُـسِـرّا؟
ومَـنْ إلّاهُ يـخـتـطُّ الـمـعـاصـي؟ ومَنْ يستطيعُ جَعْلَ السِّرِّ جهْرا؟»
فقالَ «إيا»: «أيا «إنليلُ» قُل لي، وأنـتَ حـكـيـمُـنـا بَـرًّا وبَـحْـرا،
أيـصـدُرُ عـنـكَ فِـعـلٌ مِـثـلُ هـذا؟ فـبـالـطُّـوفـانِ حُـكْـمُـكَ كـانَ شـرّا
فَـحَـمِّـلْ كـلَّ جـانٍ مـا جـنـاهُ وقـدِّمْ فُـرصَـةً لـيـعـودَ بَـرّا
بـذلـك لـيسَ يـهـلَـكُ فـي سَـفـاهٍ، ولا تُـهـمِـلْـهُ فـي إثـمٍ فَـيَـشْـرى[(١)]
ولـو أَبْـدَلْـتَ بـالـطّـوفـانِ أُسْـدًا لأَنْـقَـصْـتَ الأُنـاسَ ونِـلـتَ وِتْـرا
ولـو أبـدلْـتَ بـالـطّـوفـانِ جـوعًـا لأهـلـكْـتَ الـكـثـيـرَ، وكـان ضَـرّا
ولـو أرسـلْـتَ ذِئـبـانًـا عَـلَـيْـهِـمْ لَـقَـلَّ عـديـدُهُـمْ ورَبِـحْـتَ ذِكْـرا
ولـو أَرْسَـلْـتَ «إيـرا» مـا تـفـانَـوا جـمـيـعًـا لا ولا حُـمِّـلْـتَ وِزْرا[(٢)]
وبـعـدُ اعـلـمْ، فـلـسْـتُ أنـا بـفـاشٍ حـديـثًـا كـانَ مَـطْـويًّـا فـأَسـرى
ولـكـنّـي أَريْـتُ الـلـيـلَ حُـلْـمًـا لِـ«أتراحيسَسٍ»، والحُلْمُ يُقْرا[(٣)]
وأمّـــا الآنَ فـــلـــتـــأخـــذْ قَـــرارًا يُـعَـوِّضُ فِـعْـلَـةً كـانَـتْ أشـرّا»
إلــهُ الــحــرْبِ «إنــلــيــلٌ» تــروّى وصـارَ إلـى الـسَّـفـيـنـةِ واسـتـقـرّا
فـقـرَّبَـنـي إلـيـهِ، لـسْـتُ وحـدي، ولـكـن زوجـتـي سَـجَـدَتْ، فـأجـرى
حـديـثًـا طـيِّـبًـا، هَـنّـا جَـنـانًـا، وقال: «جزاؤكُمْ في الخُلْدِ، بُشْرى[(٤)]
مِـنَ الـفـانـيـنَ كـنْـتَ، ولـسْـتَ تـبـقى سَـتَـخْـلُـدُ كـالإلـهِ، ونِـلْـتَ عُـذْرا
ومِـثـلُـكَ زوجـةٌ كـانَـتْ تُـجـاري وتَـفْـعَـلُ مـا فَـعَـلْـتَ، تَـنـالُ شُـكـرا

---

(١) يَشْرى: يتمادى.
(٢) إيرا: إله الطاعون وجائحات الأمراض.
(٣) أتراحيسس: من أسماء «أوتنابشتيم» يُقْرا: يُقْرأ.
(٤) هنّا: مخفّف من هنّأ.

على ثغْرِ النُّهورِ، وفي قَصِيٍّ تعيشانِ الخلودَ غَداةَ بِكْرا»
وبعدُ فعندَ أفواهِ المجاري وُضِعْنا فارتضَيْنا الخُلْدَ قهْرا

وهذا اليومَ مَنْ يدعو «الإجيجي» … لمؤتَمَرٍ تُخَلَّدُ فيهِ عُمْرا؟
[وكيفَ تَفِرُّ مِنْ مَوْتٍ حقيقٍ … وأنتَ النّومُ مِنهُ لن تَفِرّا][1]
تعالَ، لتصحُ أيّامًا قِصارًا … فهَلْ تَسْطيعُ هجرَ النّومِ عشرا؟»[2]
وإذ بالنّومِ يدهَمُه عنيفًا … كشلّالٍ منَ الأمطارِ مُجرى
فقال لزوجِهِ: «هذا «جلامي» … خيالُ النّومِ أضعَفَهُ فخرّا
[فكيف إذا أتاهُ الموْتُ يومًا؟ … هُراءٌ سَعْيُهُ ليعيشَ دَهرا][3]
تريْنَ النَّومَ يَدْهَمُهُ، فيهوي، … كشَلالٍ من الأمطار مُجْرى»
«أتلمسُهُ فتوقظُهُ؟ - أشارت - … تُعيدُ لَهُ النّشاطَ فذاك أحرى
وبَعْدئذٍ يعودُ على أمانٍ … وفي درب مشى سيعودُ حُرّا»
فقالَ لها: «سَيُنْكِرُ أنّ نَوْمًا … على عَيْنَيْهِ في حينٍ أُمِرّا
كذا طبعُ الأنامِ على خِداعٍ، … يُراوِغُ تارةً ويَروغُ أخرى
تعالَيْ فاصنعي خبزًا طَرِيًّا … وقربَ جبينِهِ فلْيستقِرّا
وفي كلٍّ منَ الأيّام يَمضي … ضَعي وَسْمًا على الجُدرانِ يُقْرا»
كذا فَعَلتْ وصارَ لكلِّ يومٍ … رغيفٌ عندَ رأسِهِ مُسْتَقِرّا
وصارَ رغيفُهُ يَبِسًا تمامًا … وهذا ثالثُ الرُّغْفانِ أطرى

(١) ما بينَ هاتين المعقوفتين من وضع الناظم تكملة للسياق وتجليةً للمعنى.
(٢) عشرًا: عشر ليال. وبهذا البيت تنتهي قصّة الخلود الّتي رواها أوتنابشتيم على مسامع جلجامش بدءًا من البيتين الأخيرين من الفصل «جلجامش عند أوتنابشتيم».
(٣) ما بين هاتين المعقوفتين من وضع الناظم تكملة للسياق وتجلية للمعنى.

ورابـعُـهـا عـلاهُ بـعـضُ قُـطْـنٍ وأبـيـضَ صـارَ مـنـبـوذًا أَمَـرّا
وخـامـسُـهـا رغـيـفَ الأمسِ يبدو، وسـادسُـهـا رغـيـفُ الـيـومِ أَمْـرى
ولامَـسَـهُ فـأيـقَـظَـهُ، فـأبـدى: بـأنَّ نُـعـاسَـهُ لـم يـسـتـمِـرّا
ولُومِسَ، ليس يُمْهَلُ، قبلَ نوم فقالَ لهُ القَصيُّ: «تقولُ سُخْرا
تـعـالَ، لـكـلِّ يـومٍ ذا رغـيـفٌ وذي الرُّغْفانُ أَعْرَفُ منكَ أدرى
وصـارَ رغـيـفُـكـم يَـبِـسًـا تـمـامًـا وهـذا ثـالـثُ الـرُّغْـفـانِ أطـرى
ورابـعُـهـا عـلاهُ بـعـضُ قُـطْـنٍ وأبـيـضَ صـارَ مـنـبـوذًا أَمَـرّا
وخـامـسُـهـا رغـيـفَ الأمسِ يبدو وسـادسُـهـا رغـيـفُ الـيـوم أَمْـرى
وَلَـمْ يُـخْـبَـزْ رغـيـفٌ بـعـدَ سـتٍّ فقد أُوقِظْتَ سابعَها، أَقِرّا»[١]
فـقـالَ «جـلامـشٌ» قـولًا مَـريـرًا: «إلى أطرافيَ الموتُ اسْتُجِرّا
وعـشَّـشَـتِ الـمـنـيَّـةُ فـي فـراشـي فَـهَـلْ أَسْـطـيـعُ مِـنـهـا أنْ أَفِـرّا؟
وحـيـثُ تـوجَّـهَـتْ مـنّـي عـيـونـي خَـيـالُ الـمـوتِ مَـرئـيٌّ مُـوَرّى»
فقالَ لهُ القصيُّ، لـ«أُرْشَنابي»: «أمـلّاحـي نُـبِـذْتَ الـيـومَ بَـرّا
لِـتَـكْـرَهْـكَ الـمعـابـرُ والـشَّـواطي ودَرْبٌ سِـرْتَ فـيـهِ فـلـمْ تَـبَـرّا
أتـحـمِـلُ لـي مَـهـيـبًـا كـانَ فـذًّا وَيُكْسى جِسْمُهُ المرهوبُ شَعْرا
ويُـخـفـي كُـلَّ ذلـكَ فـي جـلـودٍ مِـنَ الآسـادِ كـيـمـا لا يُـعَـرّى
فـخُـذهُ يـا «أورْشـنـابـي» لـمـاءٍ فـيُـصـبِـحَ جِـلـدُهُ كـالـثّـلـجِ طُـهْـرا
ويَـخْـلَـعَ عـنـهُ ألـبـسـةً جـلـودًا ويُـلـقـيـهـا أيـا مـلّاحُ بَـحْـرا
ويـظـهـرَ فـي جـمـالٍ كـانَ فـيـهِ يُـريـعُ الأُسْـدَ لا تـسـطـيـعُ زَأْرا
وأَلْـبِـسْـهُ نـظـيـفًـا مـن ثـيـابٍ تـغـطّـي رأسَـهُ والـجـسْـمَ طُـرّا
كـذا أثـوابُـهُ تـبـقـى عـلـيـهِ تـعودُ نظيفةً فَيَظَلُّ فجْرا[٢]

(١) أقرّ: اعترف.
(٢) يظلّ فَجْرًا: يظلُّ أبيض نظيفًا كالفَجْر.

إلـى أنْ يـسـتـريـحَ إلـى بـلادٍ   يَـحُـطُّ رِحـالَـهُ فـيـهـا وَيُـطْـرى»
فـسـارَ بـهِ «أورْشـنـابـي» لـمـاءٍ   فـأصـبَـحَ جسـمُـهُ كـالـثَّـلـج طُـهْـرا
وأنـضـى عـنـهُ ألـبـسـةً جـلـودًا   وألـقَـمَـهـا إلـى الأمـواه بـحـرا
جـمـالٌ فـيـهِ قـد جـلّاه عُـرْيٌ   يُـريـعُ الأُسْـدَ لا تَـسـطـيـعُ زَأْرا
وألـبـسَـهُ جـديـدًا مـن ثـيـابٍ   تُـغَـطّـي رأسَـهُ والـجـسـمَ طُـرّا
كـذا أثـوابُـهُ تَـبـقَـى عـلـيـهِ   تـعـودُ نـظـيـفـةً فَـيَـظَـلُّ فَـجْـرا
إلـى أن يـسـتـريـحَ إلـى بـلادٍ   يَـحُـطُّ رِحـالَـهُ فـيـهـا ويُـطـرى
وصـارَ «جـلامـشٌ» و«الأورْشـنـابـي»   بـظـهـرِ سـفـيـنـةٍ تـنـسـابُ مَـخْـرا

وتقولُ زَوْجَتُهُ هُنا: «يا زوجِ! يا زوجَ الهَنا
«جلجامشٌ» أضنى الفؤا دَ لكي يصيرَ لأرضِنا
أوَلسْتَ تُعطيهِ وتم نحُهُ مُقابلَ ما اضّنى؟»
[فأحسَّ «جلجامي» بشي ءٍ يُسْتَسَرُّ فما وَنى](١)
فأعادَ فُلْكَهُ للشّوا طئِ كي يُسائِلَ مُعْلِنا
فأجابَهُ ذاكَ القَصِ يُّ، ومن جوارِهِ قد دنا:
«أضنيْتَ جسمَكَ يا «جلا مشُ» كي تصيرَ لأرضِنا
أولسْتَ تُعْطى مِنحةً أولا تُكافَأُ عن ضَنى؟

« «جلجامشٌ»! إنّي هُنا سِرًّا عظيمًا أعرِفُ
سِرَّ «الإجيجي» رَغْبةً برِضاكَ إنّي أكشِفُ
فهُناكَ تلقى نَبْتةً بالشّوكِ يُدمي، تُكْنَفُ
كالوردِ أشواكٌ لها وخّازةٌ لا تَرْأَفُ
في عُمْقِ أعماقِ الميا هِ وحيدةً تتفوّفُ

فإذا جَنَتْها الكَفُّ ثُمَّ أكلْتَ عُدْتَ إلى الشَّبابْ»
ما كادَ «جلجامي على فرحٍ يَعِي هذا الجوابْ

(١) ما بين هاتين المعقوفتين من وضع الناظم تكملة للسياق وتجلية للفكرة.

حـتّـى مَـضـى ويَـشُـدُّهُ حَـجَـرانِ من تـحـتِ الـعُـبـابْ
حَـجَـرانِ مـربـوطـانِ بـالـ قـدمَـيـنِ، لا عُـمْـقًـا يـهـابْ

وهـنـاكَ قـد شَـهِـدَ الـنـبـا تَ فـجـثَّـهُ جـثًّـا رفـيـقـا
وُخِـزَتْ يـداهُ [فـقـالَ: «تـلـ ـكَ فـدْيـتُـهـا بـدمـي أُريـقـا»][1]
حـلَّ الـحـجـارةَ أثـقـلَـتْ قَـدَمَـيْـهِ فـاخـتـطَّ الـطَّـريـقـا

فَـرَمَـتْـهُ أمـواجُ الـخِـضَـمِّ عـلـى الـشَّـواطـئ فـي سُـرورْ:
«هـذي صَـديـقـي! - قـالَ «جـلـ ـجـامـشُ» - أي خِـلِّـي الـغَـيـورْ[2]
هـذا نـبـاتٌ قـد جَـنَـيْـ ـنـا مـن أعـاجـيـبِ الأمـورْ
وبـهِ يُـعـيـدُ الـشَّـيـخُ عـهـ ـدَ شـبـابـهِ بـعـدَ الـفـتـورْ

حِـمـلـي إلـى «أوروكَ» هـ ـذا، مَـنْ تُـرى غـيـري حَـبـاهْ؟
وسـيـأكـلُ الأشـيـاخُ كـي يَـرقَـى إلـى كـلِّ صِـبـاهْ
وأنـا سـآكـلُ بَـعْـدَهُـمْ كـيـمـا تَـجـدَّدَ لـي الـحـيـاهْ

عـشـريـنَ مِ الـسّـاعـاتِ قـد تـركـا وراءْ[3]
فـتـوقّـفـا كـي يَـأْكـلا بـعـضَ الـغِـذاء
ثـمَّ اسـتـمـرّا بَـعْـدَهـا فـأتـى الـمـسـاءْ
فـتـوقّـفـا كـي يـسـتـريـحـا مـن عَـنـاءْ

هـذا «جَـلامـشُ» قـد رأى مـاءً تـجـمّـعَ فـي مـكـانْ

(١) ما بين هاتين المعقوفتين من وضع الناظم إظهارًا لفرحة جلجامش بالنبتة السحريّة.
(٢) يخاطب جلجامش صديقهُ الجديد أورشنابي الملّاح.
(٣) مِ الساعات: من السّاعات.

فــاخــتــارَهُ كــي يَــســتَــحِــمَّ   فــغــاصَ فــيــهِ عــلــى أمــانْ

فــتــشــمَّــمَــتْ أفــعــى الــنّــبــا   تَ فــشــدَّهــا فَــوْحُ الــنــبــاتْ
فَــتَــسَــلَّــلَــتْ نــحــوَ الــنّــبــا   تِ رأتــهُ أحــســنَ مــا يُــقــاتْ
لــلــحــالِ بُــدِّلَ جِــلْــدُهــا   جــلــدًا تُــجَــدِّدُه الــحــيــاةْ
فــبــكــى «جَــلامــشُ» جــالــسًا   وبــكــى عــلــى مــا مــنــهُ فــاتْ

وعــلــى «أورْشــنــابــي» انــحــنــى: «أَضْــنَــيْــتُ جسمي يا صــديــقْ!
وبــذلْــتُ مِــنْ جــســمــي الــدّمــا   فــلــمــنْ تُــرى جُــزْتُ الــمــضــيــق؟
لــم أجــنِ مــن ذا نِــعــمــةً   لــي، لــلأفــاعــي مــا أُريــق
وحَــمَــلْــتُــهــا جُــلَّ الــطّــريـ   ـقِ، فــجــاءَ مَــنْ قَــطَــعَ الــطّــريــق

إنّــي عَــرَفْــتُ نــهــايــتــي   مــذ كــنْــتُ أمــضــي لــلــنّــبــات
شــاهــدْتُ رمــزًا قــالَ لــي: لا.. لــنْ تُــجــدِّدهــا الــحــيــاة
فــعــلــمْــتُ أنّــي خــائــبٌ   مِــنْ حــيــنــمــا جُــزْتُ الــقــنــاة(١)
والــيــومَ أُعــلِــنُ أنّــنــي ســأعــودُ، أَحْــمِــلُــهُ الــرُّفــات
فــي الــشَّــطِّ أرمــي قــاربــي فــأرى الــعَــراءْ»
عــشــريــنَ مِ الــسّــاعــاتِ قــد تــركــا وراءْ
فــتــوقّــفــا كــي يــأكُــلا بَــعْــضَ الــغِــذاء
ثــمّ اســتــمــرّا بــعــدَهــا فــأتــى الــمــســاءْ
فــتــوقَّــفــا كــي يــســتــريــحــا مــنْ عَــنــاءْ

(١) القناة: مجرى ماء اجتازه جلجامش في الطريق إلى الأعماق حيث النبتة العجائبيّة التي تعيد الشيخ إلى صباه.

حــتّـــى إذا وَصَـــلا إلـــى «أوروكَ» عـــالــيــةَ الــبِــنــا
«جـلـجـامـشٌ» يـمـضـي إلـى الــ ـمــلّاحِ مــشـــدودَ الــبُــنــا
لــيــقــولَ: «يــا مــلّاحُ! ذي «أوروكُ» ذا مُــلْــكــي أنــا
وعــلــى دروبِ الــسُّــورِ فــي «أوروكَ» إمــشِ الــهــيِّــنــا

الــمُــسْ قــواعــدَهُ تــفــحَّ صْ صَــنْــعَــةَ الآجُــرِّ فــيــهِ
لَــبِــنــاتُــهُ شُــويــت بــنــا رٍ كــي يــخــلَّــدَ كــي تــقــيــهِ

والــســبــعــةُ الــحــكــمــاءُ أرسَــوْا أُسَّــهُ صُــلْــبًــا شــديــدا
قَــسَــمُــوا الــمــديــنــةَ قِــسْــمَــةً كــانَــتْ لــهــا فــنًّــا جــديــدا

هــذي بــســاتــيــنٌ، وتــلــ ـكَ مُــروجُــهــا تــجــلــو الــعُــيــونْ
ذا الــمــعــبــدُ الــسّــاجــي لــعــشـ ـتــارٍ، وذا مَــجــلــى الــفُــتــونْ
وبــيــوتُ «أوروكَ» الــجــمــيــ ـلــةُ فــوقَ مِــرآةِ الــظــنــونْ

الحُلم الأخير

[«جلجامشٌ» يمضي إلى إحدى الأَسِرَّهْ
ليُزيلَ بالنّومِ المطوَّلِ عنهُ وِزرَهْ
فعسى يُصيبُ بنومِهِ بعضَ المَسَرَّه
فإذا بهِ في النومِ يلقى ما أضرَّهْ
حُلُمًا رأى وارتاعَ من ذُعْرٍ أجَرَّه][1]

يا ليتني «الباكو» تركْ   تُ بغرفةِ النّجارْ[2]
فهناكَ زوجتُهُ كأُمٍّ   ي تحفَظُ الأسرارْ
وهناك ابنتُهُ كأخ   تي لم تزلْ في الدّار
لكنْ تُرى مَنْ يُرْجِعُ الـ   «باكو»؟ أنا المحتارْ
لكنْ تُرى مَنْ يُرجِعُ «الـ   «ماكو»؟ أنا المحتارْ
من عالم الأموات أسـ   ـفلِ ما انتهى أو صار
فيجيبُ «إنكيدو»: «أيا   خِلِّي! أيا قهّارْ
دُنيا الأسافلِ سوف آ   تيها أنا المختار
أأراكَ تبكي موجَعًا؟   يا سيّدي! أتُضارْ؟
فالـ«باكُ» يَرجِعُ قد وعدْ   تُكَ سالمًا للدّار

---

(١) ما بين هاتين المعقوفتين من وضع الناظم للربط بين الملحمة وهذا النصّ الذي يبدو خارجًا عن جسمها فيكون جزءًا منها أو تكملة لها مع عدم الإخلال بفكرة النصّ أو الغاية منه.
(٢) الباكو والماكو: يرجّح أنّهما طبلةٌ ومضربها كانت قد أهدتهما الإلهة عشتار لجلجامش.

والـ «مـاكُ» يَـرجِـعُ قـد وعـدْ ... تُـك سـالـمًـا لـلـدّار»
فـأجـابَ «جـلـجـامـي»: «إذا ... صـمَّـمْـتَ كـيـمـا تَـنْـزِلا
فـاسـمـعْ كـلامـيَ، مـا أقـو ... لُـهُ واعـيًـا مُـتَـأمِّـلا
ونـصـيـحـتـي، قـوِّم بـهـا ... مَـسْـراكَ، لا.. لا تُـهْـمِـلا:

فـلا تـلـبسْ ثـيـابًـا مُـحـدَثـاتٍ ... وإلّا ضـرَّكَ الأمـواتُ ضـرّا
ولا ضمَّخْتَ جسمَكَ من عطورٍ ... وإلّا أسـرعُـوا يـبـغـونَ شَـرّا
ولا تـحـملْ رِمـاحًـا أو عِـصيًّـا ... فـترقُـصَ حـولَـكَ الأشـبـاحُ كـرّا
ولا تَـلـبَـسْ حِـذاءً أو نِـعـالًا ... وكـنْ رَكِـنًـا سَـكـوتًـا مُـسـتَـقِـرّا
وزوجَـكَ لا تُـقَـبِّـلْـهـا لـحُـبٍّ ... ولا تـضـرِبْ عـلـى كُـرْهٍ أُقِـرّا
وطِـفْـلَـكَ لا تُـقَـبِّـلْـهُ لـحُـبٍّ ... ولا تَـضـرِبْـهُ مـن كُـرْهٍ أُقِـرّا
وإلّا هَـزَّكُـم بـصُـراخِ ذُعْـرٍ ... نُـواحٌ مـن «أرشـكـيـجـالَ» تَـتْـرى
فـتِـلـكُـمُ لا يُـغـطّـيـهـا رِداءٌ ... على الكَتِفَينِ والصَّدْرِ المُعَرّى
وثـديـاهـا كـطـاسٍ مـن صـخـورٍ ... أَصَـمَّ أجـشَّ لا نـألـوهُ نُـكـرا»

فـلـمْ يَـعْـبَـأْ بـمـوعـظـةٍ صـديـقٌ ... فـأُلْـبِـسَ حُـلَّـةً واحـتـاطَ أخـرى
فـصـارَتْ حَـوْلَـهُ الأصـواتُ زَعْـقًـا ... مـن الأمـواتِ تَـبـعَـثُ فـيـهِ ذُعْـرا
وضَـمَّـخَ جسمَهُ بالعِطرِ، صـارَتْ ... عـلـى أكـتـافِـهِ الأمـواتُ كُـثْـرا
رمى رُمْـحًـا هـنـاكَ، أصـابَ مـنـهُـمْ ... فـصـاروا حَـوْلَـهُ يـبـغـونَ شـرّا
حـذا قَـدَمَـيْـهِ مـن نَـعْـلٍ رقـيـقٍ ... فـأحـدثَ ضَـجَّـةً واجـتـرَّ ضُـرّا
وزوجَـتَـهُ يُـقَـبِّـلُـهـا لِـحُـبٍّ ... ويـضْـرِبُ غـيـرَهـا كُـرهًـا وقَـهْـرا
كـذا ولـداهُ مـن حُـبٍّ وكُـرهٍ ... يُـقـبِّـلُ ثـانـيًـا ويـسـوطُ بِـكـرا(١)

---

(١) بكرًا: يريد الولد البِكر أي الأوّل.

أحـاطَ بـهِ الـصُّـراخُ لـكـلِّ جـنـبٍ صـراخٌ مـن «أرشـكـيـجـالَ» تَـتْـرى
وتـلـكُـمُ لا يُـغَـطّـيـهـا رِداءٌ عـلـى الكتِفَيْنِ والصَّدرِ المعرّى
وثـديـاهـا كـطـاسٍ مـن صـخـورٍ أصـمَّ أجـشَّ لا نـألـوه نُـكـرا

«أَرْشكيجالُ» قد حبَستْهُ فيهمْ مَعَ الأمواتِ، لا يرقى مَطَلّا
ولم يُمْسِكْ بهِ «نمتارُ» يَوْمًا وليسَ لعِلَّةٍ قد غابَ، كَلّا[1]
ولكنّ الأسافلَ أَمْسَكَتْهُ مَعَ الأمواتِ لا يسطيعُ حلّا[2]
ولم يُمْسِكْ بهِ عنهمْ وكيلٌ ظلومٌ كالصِّلالِ إذا اسْتَحَلّا
ولكنَّ الأسافِلَ أمْسَكَته مع الأمواتِ لا يسطيعُ حَلّا
ولم يَسْقُطْ قتيلًا في عِراكٍ ولمْ يَكُ في صِراعِ النِّدِّ نَذْلا
ولكنّ الأسافلَ أَمْسَكَتْهُ مع الأمواتِ، لا يسطيعُ حَلّا
بكى «جلجامشٌ»، وبكى طويلًا على «إنكيدُ» يبكي لا يُسَلّى
إلى «إيكورَ» يمضي مُسْتجيرًا: «أيا «إنليلُ» رُدَّ اليومَ خِلّا[3]
أيا «إنليلُ»! قد ضيّعْتُ «باكو» و«ماكو»، للأسافلِ قد أُقِلّا[4]
فراحَ الخِلُّ «إنكيدو» ليأتي بـهـا وبـهِ ولـكـن غُـلَّ غَـلّا
فلم يُمسِكْ بهِ «نمتارُ» يومًا وليسَ لعِلَّةٍ قد غابَ، كلّا
ولكنّ الأسافلَ أَمْسَكَتْهُ مع الأمواتِ، لا يَسْطيعُ حَلّا
ولم يُمْسِكْ بهِ عنهمْ وكيلٌ ظَلُومٌ كالصِّلالِ إذا استحَلّا
ولكنّ الأسافلَ أَمْسَكَتْهُ مع الأمواتِ، لا يَسْطيعُ حَلّا

(١) نمتار: من آلهة العالم الأسفل وقَبَضَة أرواح الناس.
(٢) لا يسطيعُ حلا: لا يستطيع أن يحُلَّ نفسَه منهم.
(٣) إيكور: بيت الإله إنليل.
(٤) أقلا: حُمِلا: نُقِلا.

ولـم يـسـقـط قـتـيـلًا فـي عِـراكٍ ولـم يـكُ فـي صِـراعِ الـنِّـدِّ نَـذْلا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـع الأمـواتِ، لا يَـسْـطيـعُ حَـلّا»
و«إنـلـيـلٌ» تـصـامَـمَ لـم يُـجـبْـهُ، إلى «إيكيشَ» راحَ فحطَّ رَحْلا :[١]
«فـواسِـنّـاهُ قـد ضـيَّـعْـتُ «بـاكـو» و«مـاكـو» لـلأسـافـلِ قـدْ أُقِـلّا
فـراحَ الـخِـلُّ «إنـكـيـدو» لـيـأتـي بـهـا وبـه، ولـكـنْ غُـلَّ غَـلّا
فـلـم يُـمْـسِـك بـهِ «نـمـتـارُ» يـومًـا ولـيـس لـعِـلَّـةٍ قـد غـابَ، كـلّا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـعَ الأمـواتِ، لا يـسـطـيـعُ حَـلّا
ولـم يُـمْـسِـك بـهِ عَـنـهُـمْ وكـيـلٌ ظـلـومٌ كـالـضِّـلالِ إذا اسـتـحـلّا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أمـسـكَـتْـهُ مـعَ الأمـواتِ، لا يـسـطـيـعُ حَـلّا
ولـم يـسـقُـطْ قـتـيـلًا فـي عِـراكٍ ولـم يـكُ فـي صِـراعِ الـنِّـدِّ نَـذْلا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـعَ الأمـواتِ، لا يـسـطـيـعُ حَـلّا»
وذا «سِـنٌّ» تـصـامـم لـم يُـجـبْـهُ فـراحَ إلى «إيا - بْسُو» حطَّ رَحْلا[٢]
««إيا»! يا سيّدي! ضيّعتُ «باكو» و«مـاكـو» لـلأسـافـلِ قـد أُقِـلّا
فـراحَ الـخِـلُّ «إنـكـيـدو» لـيـأتـي بـهـا وبـه، ولـكـنْ غُـلَّ غَـلّا
فـلـم يُـمْـسِـكْ بـهِ «نـمـتـارُ» يـومًـا ولـيـسَ لـعِـلَّـةٍ قـد غـابَ، كـلّا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـع الأمـواتِ، لا يَـسـطـيـعُ حَـلّا
ولـم يُـمْـسِـكْ بـهِ عـنـهُـمْ وكـيـلٌ ظـلـومٌ، كـالـضِّـلالِ إذا اسـتـحـلّا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـعَ الأمـواتِ، لا يَـسـطـيـعُ حَـلّا
ولـم يَـسـقُـطْ قـتـيـلًا فـي عِـراكٍ ولـم يـكُ فـي عـراكِ الـنِّـدِّ نَـذْلا
ولـكـنّ الأسـافـلَ أَمْـسَـكَـتْـهُ مـع الأمـواتِ، لا يَـسـطـيـعُ حَـلّا»

(١) إيكيش: إيكيش شيرجال: بيت الإله سنّ.
(٢) إيا - بسو: بيت الإله إيا.

ومذ أنهى كلامَهُ صاحَ «إيّا»: «سريعًا قُمْ، أيا «نِرْجالُ» هيّا[1]
إلى ثَقْبٍ يصير إليه «إنكي» فتخرجُ روحُهُ حالًا إليّا
فيكشِفُ للفتى «جلجامِ» سرًّا عنِ الأمواتِ لا يبقى خَفيّا»
و«نِرجالٌ» أطاع كلامَ «إيّا» وثقبٌ للأسافلِ قد تهيّا
ومنهُ تسلَّلَتْ روحٌ لـ«إنكي»، وطيفًا منْ نسيمٍ قد تزيّا

وصارا في عِناقٍ طالَ حينًا وبعدُ إلى حوارٍ لا يَسِرُّ:
- ألا خبّر، صديقي! كيف كانت مَعالمُ عالَمٍ فيهِ تَقِرُّ
- أنا لسْتُ المخبِّرَ، يا صديقي! وإلّا قُلْتُهُ قولًا يَضُرُّ

إذا ما كانَ قولٌ إنّ قولي يجُرُّ لكَ البكاءَ فهلْ أقولُ
- أنا أبكي وليسَ عليكَ ضَيْرٌ ألا قلْ لي أيا هذا المَغولُ
- ترى جسمي الذي لامَسْتَ يومًا لأفراحٍ وآمالٍ تطولُ
غدا شيئًا ذريًّا لا تبالي له الحشراتُ تنهشُ إذ تغولُ
ترى جسمي الذي لامَسْتَ يومًا لأفراحٍ وآمالٍ تطولُ؟
غدا جَسَدًا رفاتًا مُستَقِرًّا مليئًا بالتُّرابِ ولا يزولُ
فصاح «جلامشٌ»: «ويلي لخلّي» وحطَّ على التُّرابِ به يصولُ:

- أرأيتَ ذاك العاقرا؟ - إنّي رأيتُهُ ساهرا
[يَبْكي بحزنٍ.. إنّه بادٍ وليسَ الحاضرا]

- أرأيتَ ذاكَ المنجبا ولدًا وحيدًا طيِّبا؟

(١) نرجال: هو أريجال زوج أرشكيجال إلهة العالم السفلي.

- هـو سـاجـدٌ عـنـد الـجـدا ... رِ، بـحُـرْقَـةٍ يـشـكـو الـوَبـا

- أرأيـتَـهُ ذاك الـذي ... ولـديـنِ أنـجـبَ وارتـمـى؟
- بـيـت مـن الآجـرِّ فـيـ ... ـهِ طـعـامُـهُ خـبـزٌ ومـا[١]

- أرأيـتَـهُ ذاك الـذي ... لـثـلاثـةٍ قـد أنـجَـبـا؟
- هـو شـاربٌ مـاءً مِـنَ الـ ... أعـمـاقِ عـذْبًـا طـيِّـبـا

- أرأيـتَـهُ ذاك الـذي ... أولادَهُ قـد أربَـعـا؟[٢]
- فـي غِـبـطـةٍ [مـتـربِّـعٌ ... وطـعـامُـهُ قـد أمـرَعـا][٣]

- أرأيـتَ مَـن لـه خـمـسـةٌ؟ ... - إنّـي رأيـتُـهُ فـاتـحـا
يـدَهُ كـمـا لـو كـاتِـبٌ ... يـخـتـطُّ خـطًّـا واضِـحـا[٤]
يـمـضـي إلـى قـصـرٍ بـهِ ... نِـعَـمٌ وكـانَ الـرّابـحـا

- أرأيـتَ مَـن لـه سِـتّـةٌ؟ ... [- إنّـي رأيـتُـهُ فـي وضـوحْ
تـجـلـو صـفـيـحـةَ وجـهِـهِ ... آيـاتُ سَـعْـدٍ أو تـلـوحْ]

- أرأيـتَـهُ ذاكَ الـذي ... قـد أَوْقَـعَـتْـهُ الـصّـارِيَـهْ؟
- إنّـي رأيـتُـهُ رابـضًـا ... عـنـدَ الـحـبـالِ الـقـاسـيـه

(١) ما: ماء.
(٢) أربعَ أولاده: جعلهم أربعةً.
(٣) أمرعَ: أخصب.
(٤) في البيت ما يشير إلى قيمة الكَتَبَة ورفعتهم عندَهُمْ.

- أرأيْـــتَـــــهُ ذاك الــــذي قــد مـاتَ لـيـسَ الـدّاريـا؟[١]
- إنّـــي رأيْــتُــهُ نــائـمًــا فــوقَ الأرائــكِ ســالــيــا
يُـسـقـى مـن الـمـاءِ الـقَـرا حِ، ومـا يـزالُ مُـسـاقـيـا

- أرأيْـــتَـــــهُ ذاكَ الــــذي قَـتَـلَـتْـهُ حـربٌ صـالـيـه؟
- إنّـــي رأيــتُ أبــاهُ يَـنْـ ـشُـدُهُ، وزوجَـهُ بـاكـيـه

- أرأيْـــتَـــــهُ ذاكَ الــــذي أَمْـسـى رُفـاتًـا فـي الـعَـراءْ؟
- إنّـــي رأيــتُــهُ ضــائـعًــا لا مُـسْـتَـقَـرَّ ولا فِـنـاءْ

- أَرَأَيْـــتَـــــهُ ذاكَ الــــذي مـا روحُـهُ نـالـتْ مَـقـامْ؟[٢]
- إنّـــي رأيْـتُـهُ مُـهْـمَـلًا يـقـتـاتُ مـن هَـمَـلِ الـطّـعـام

- كَشّاف الأَعلام
- الـمصادر والـمَراجع
- الفهرس

كَشّاف الأَعْلام

- **آيا** (Aya): زوجة إله الشمس الأكادي «شمش»، وتُعَدّ من أقدم الآلهة الساميّة فيما بين النّهرين، وكلمة آيا معناها الفجر.
- **آبسو**: هذا في الأكاديّة، وفي السومريّة «أبزو» وهو اسم يطلق على مياه المحيط العذبة في جوف الأرض حيث يعيش الإله «إيا» (إنكي في السومريّة) وهي المسؤولة عن المياه العذبة في بلاد بابل.
- **آداد**: في الأكاديّة، وفي السومريّة «أَدَدْ وأدّا وأدُّو» وهو في اللغات الساميّة الأخرى «حدد»، وهو إله الطقس والمسؤول عن العواصف والأمطار.
- **آرورو** (Aruru): إلهة الخلق أو الإلهة الأمّ وهي أوّل معبودات الإنسان، ومن أسمائها في بلاد الرافدين «نَنْماخ وننخرساج ومامي وننتو» وهي صانعة الجنس البشري ربّة الخلق والولادة، وهي التي خلقت «إنكيدو» من طين بحسب الملحمة.
- **آنو**: هذا في الأكاديّة (البابليّة)، وفي السومريّة «آن» أي (أعالي السماء)، وفي البابليّة أيضًا «آنوم» - ترى أتكون آنوم وأقنوم من مصدر اشتقاقيٍّ واحد؟ - وهو ابن أنشار وكيشار في ملحمة التكوين، وهو الإله الرئيس في مجمع الآلهة السومريّة والبابليّة، وهو إله السماء وتقابله على الأرض زوجته «كي» أي (الأرض أو الأسفل) واسمها في السومريّة القديمة أوراش، والابن البكر لآن هو الإله «إنليل».
- **أتراحسيس**: أو أترحاسيس، معناه (الرجل الحكيم) وهو من ألقاب أوتنابشتيم بطل الطوفان البابلي تعظيمًا له.
- **الإجيجي** (Egigi): اسم جماعي لآلهة السماء العظام السبعة ويقابلها آلهة العالم السفلي تحت الأرض «الأنوناكو أو الأنوناكي».

- **أرشيكيجال**: معنى الكلمة في السومريّة (السيّدة) ومن ألقابها إلهة العالم السفلي والأرضي الكبيرة والمكان الواسع، وأهمّ أزواجها «نرجال»، وتحاول «عشتار» أن تنافسها على التسلّط على العالم السفلي.
- **أرنيجال**: هو «نرجال» زوج «أرشكيجال» إلهة العالم السفلي، وهو إله سومري، ثمّ أكادي من آلهة العالم السفلي، ومن أسمائه «لوجال جيرا ولوجال أبياك»، ويمثّل إلى ذلك وظيفة إله علوي، فهو المسؤول عن قسوة حرارة الشمس المحرقة، وأحيانًا عن الأوبئة التي تصيب البشر والحيوان.
- **أرنيني**: انظر «عشتار».
- **أشخارا**: انظر «عشتار».
- **أنتوم (Antum)**: (مؤنّث «آن») وهي قرينة «آن» أي زوجته.
- **إنجيكو**: انظر «إيا».
- **أنشان**: منطقة جنوب غربي فارس مشهورة بصناعة الأقواس.
- **إنكيدو (Inkidi)**: هو البطل الثاني في «ملحمة جلجامش»، وقد خلقته الإلهة «أرورو» من طين في البراري يعيش مع الحيوان ليكون ندًّا لجلجامش.
- **إنليل (Enlil)**: معناه في السومريّة (السيّد نسيم) وهو ابن آن الأكبر وكلمته، وقد نال سلطة عالية ثمّ تنازل له أبوه «آنو» عن السلطة العليا دون نزاع، وهو ربّ العاصفة المدمِّرة.
- **أنوناكي**: أو أنوناكو، آلهة العالم الأسفل، وتقابل «الإجيجي» آلهة العالم العلوي.
- **أوبارا**: والد «أوتنابشتيم» بطل الطوفان البابلي.
- **أوتنابشتيم**: أو أوتنابشتي، بطل أسطورة الطوفان البابلي، ومن ألقابه القصيّ وأتراحسيس.
- **أورشنابي**: ملّاح قارب نهر العالم السفلي وهو الذي نقل «جلجامش» إلى

«أوتنابشتيم» في الملحمة.

- **أوروك**: مدينة سومريّة عاصمة الملك جلجامش، واسمها التوراتي «إريك»، وهي «الوركاء» حديثًا جنوب بابل.
- **أولى**: اسم نهر سار جلجامش وإنكيدو على ضفافه في طريقهما إلى غابة الأرز.
- **إيا (إنجيكو)**: واسمه في السومريّة «إنكي» بمعنى سيّد الأرض أو سيّد الأسفل. ومنزله في «إريدو» مدينة كانت تقع على الخليج العربيّ، وهو إله الحكمة.
- **إيابسو**: بيت الإله «إيا» حيث المياه العذبة في جوف الأرض. (انظر «آبسو»).
- **إيانا**: حرم المعبد المكرّس في أوروك لِ«آنو» و«عشتار»، ومعناه بيت السماء أو بيت الأعالي.
- **إيتانا**: ملك أسطوري، يُقال إنّه حُمِل إلى السَّماء على جناح نسر.
- **إيجال ماخ**: أو إيجال ماه، قصر عظيم في «أوروك» مخصّص مسكنًا للإلهة نسون أُمّ جلجامش.
- **إيرا**: إله الطّاعون وجائحات الأمراض.
- **إيشو**: هو «إيشولانو»، حارس بستان، قويٌّ، أحبّته عشتار، ولما لم يبادلها مسختهُ خلدًا يعيش في التراب كما في ملحمة جلجامش، ومن وجهة نظر سومريّة هو البستاني «شوجال - أتودا».
- **إيكو**: مقياس بابلي للمساحة قدره بالمقاييس الحاليّة / ٣٦٠/ م^{٢}.
- **إيكور**: هو بيت الإله إنليل.
- **إيكيش شيرجال**: هو بيت إله القمر «سنّ».
- **إينوجي**: إله الري.
- **باكو وماكو**: اسمان وردا في الفصل الأخير من ملحمة جلجامش (الحلم الأخير)، قال بعضهم إنّهما كنز ثمين، وقال آخرون: إنّهما أداتان موسيقيّتان يرجّح أنّهما طبل

ومضربه أهدتهما عشتار إلى جلجامش، وقد وقعا في العالم الأسفل، ولم يعد يستطيع الحصول عليهما.

- **جلجامش**: بطل هذه الملحمة، وقد جرى الحديث عنه في التّوطِئة.
- **حَواوَ أو حَواوا**: وحش أسطوريّ وحامي غابة الأرز وصانع الشّرّ في العالم واسمه الآخر «خمبابا».
- **خانيش** (Hanish): أو حانيش رسول «آداد» إله العاصفة والطقس السَّيِّئ وهو من الآلهة الصغار.
- **خمبابا** = حَواوَ.
- **ساموقان**: إله الحيوانات والرعي.
- **سِن** (Sin): إله القمر، وفي السَّومريّة «نانّا»، وفي نصوص أكاديّة قديمة يسمّى «سو إين» أي صاحب الشروق، وهو ابن الإلهين «إنليل ونينليل»، وكان يعبد في أور وحرّان في العهود البابليّة.
- **سيدوري** (Siduri): إلهة صغيرة تصنع الخمر وتسقيه للآلهة.
- **سيليلي**: فرس إلهيّة أم الحصان الذي أتعبته عشتار في السِّباق دون أن تطعمه الكفاية.
- **شمش**: أو «شاماش» في كلّ اللغات الساميّة، وفي السومريّة «أوتو»، وهو ابن إله القمر «نانا» السومري أو «سن» الأكادي وأخو «عشتار»، وزوجته في السومريّة «شنيردا»، وفي البابليّة «آيا»، وهو إله رؤوف نُصِّبَ ربًّا للعدالة وإحقاق الحقّ، وهو حامي طقوس الكهانة وعلم الغيب عند الأكاديين.
- **شورِيباك**: مدينة سومريّة قديمة، وهي اليوم بلدة «فارا» على مسافة ١٨ ميلًا شمال غربيّ أوروك.
- **شولات**: رسول آخر لِـ«آداد» إله العاصفة والطّقس السَّيِّئ، وهو من الآلهة الصغار،

وغالبًا ما يترافق مع خانيش.

- **صيري (بعلة صيري)**: هي كاتبة أرشكيجال إلهة العالم السفلي.
- **عشتار**: هذا اسمها في الأكاديّة، والاسم عشتار ربّما كانَ تطويرًا لاسم الإلهة السوريّة «عطّار»، وفي السومريّة «إنانا» من «إنين - أنّا» أي سيّدة السماء، ومن أسمائها «إشخارا» وهي ابنة الإله «آن»، وفي نصوص أخرى ابنة إله القمر «نانا»، وأحيانًا ابنة إنليل، وأختها «أرشكيجال» إلهة العالم السفلي، وهي من أبرز الآلهة في مجمع الآلهة السومري والأكادي، ولها صفات مُتباينة فتعدّ إلهة للحبّ والجنس، وإلهة للحرب والنزعة القتاليّة المدمّرة، وإلهة نجم الزُّهْرة: «فينوس» السماوي، وفي زواجها من «تمّوز» (ديموزي) أساطير أصبحت عالميّة. ومركز عبادتها الرئيس في بيت السّماء أو بيت الأعالي «إيانا» الّذي هو لها وللإله «آن» في مدينة «أوروك» الواقعة جنوب الرّافدين.
- **لوجال بندا**: ملك سومري في «أوروك» (السلف الثاني قبل جلجامش) وهو ابن «إنمركار» وبعد موته عُدَّ إلهًا.
- **ماشو**: سلسلة جبال أسطوريّة وتعني بالأكاديّة (التوأمين) ومن جبالها «ماشو» أيضًا، وله قمّتان شاهقتان تذهب الشمسُ بينهما إلى مغربها لتغيب في باطن الأرض، ثمّ تتابع سيرها في دربٍ سفلي لتعود فتشرق من جديد بحسب الأساطير.
- **نرجال**: أنظر «أريجال».
- **نصير**: اسم جبل رست عليه سفينة الطوفان البابلي، وهو الآن جنوب نهر الفرات الأدنى في الجزيرة العُليا في تركيا الآن.
- **نمتار**: إله سومري، ومعناه (الشيء الذي يَقْتَطِع)، ويعني أيضًا القدر، وهو يجسِّد قدر الإنسان ونصيبه في الحياة، وهو سفير إلهة الموت «أرشكيجال» لقبض أرواح البشر.

- **ننسون**: أو نينسونا، وهي أمّ جلجامش من زوجها «لوجال بندا» على أرجح النصوص، وهي إلهة ثانويّة في مجمع الآلهة السومريّ وتتّصف بالمعرفة الواسعة والحكمة العميقة، ومعناها في السومريّة (سيّدة البقرة الوحشيّة).
- **نينورتا**: أو نانورتا، (أي سيّد الأرض) في اللغة السّومريّة، وهو إله سومري ابن الإله إنليل، واسمه القديم ننجرسو. وهو إله للخصب والقتال، فعدَّ إلهًا للحرب والهواء والحيوانات، وزوجته إلهة الشفاء «جولا».
- **نيبور**: اسم المدينة التي منها النجّار الذي صنع الباب لإنكيدو من خشب بوّابة الأرز.

المصادر والمراجع

لقد اعتمدت في نظم هذه الملحمة والتعليق عليها على نصوص لها كثيرة، كنت أقرأ هنا وهناك وأقارن ثمّ أختار ما أراه أقرب إلى الحقيقة والمنطق، وكنت أسدّ الرتوق التي تركتها القرون في جسد الملحمة فأعمد إلى كتب أخرى ممّا له مقاربة أو علاقة أو صلة بالملحمة أو بعض أجزائها، أو بطبيعة الحياة القديمة في وادي الرافدين، أو في المنطقة العربيّة في تاريخها القديم عامّة، وهذه أهمّ المصادر والمراجع:

١- **طه باقر**: ملحمة كلكامش (أوديسّة العراق الخالدة)، مديريّة الفنون والثقافة الشعبيّة ١٩٦٢.

٢- **فراس السَّوّاح**: كنوز الأعماق - قراءة في ملحمة جلجامش، سومر والعربي ط/١ دمشق ١٩٨٧.

٣- **فراس السوّاح**: ملحمة جلجامش، دار الكلمة بيروت، ط/٢، ١٩٨٢.

٤- **د. سامي سعيد الأحمد**: ملحمة كلكامش، الجيل بيروت والتربية بغداد ١٩٨٢.

٥- **ن. ك. ساندرز**: ملحمة جلجامش، ترجمة محمّد نبيل نوفل وحافظ القاضي دار المعارف بمصر.

٦- **أنيس فريحة**: ملاحم وأساطير من الأدب السامي، دار النهار للنشر بيروت، ط/٢، ١٩٧٢.

٧- **وليد فاضل**: جلجامش (مسرحيّة في فصلين)، دار النجاح، بيروت ١٩٧٢.

٨- **فراس السَّوّاح**: لغز عشتار، سومر نيقوسيا والغربال دمشق ط/٢، ١٩٨٦.

٩- **فراس السَّوّاح**: مغامرة العقل الأولى، سومر نيقوسيا والعربي دمشق ط/٧.

١٠- **أنطون مورتكان**: فنون سومر وأكاد، ترجمة محمّد وحيد خياطة، العربي دمشق

.١٩٨٨

١١- **سباتينو موسكاتي**: الحضارة الفينيقيّة، ترجمة نهاد خياطة، دار الكندي دمشق .١٩٨٨

١٢- **س. هـ. هوك**: ديانة بابل وآشور، ترجمة نهاد خياطة، العربي دمشق ١٩٧٩.

١٣- د. **إذزارد ورفاقه**: قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين، ترجمة وحيد خياطة، دار مكتبة سومر حلب والأهالي دمشق.

١٤- **سليمان البستاني**: إلياذة هوميروس، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٥- Gardner and Mair; Gilgamesh, Vintage Books, New York 1985.

صَدَرَ للمؤلِّف

١ - بَوح (ديوان شعر) دمشق ١٩٩٥.

٢ - ملحمة جلجامش (نظم وترميم وتعليق)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٩.

٣ - أبو القاسم الشّابي في شعره (دراسة ونقد)، دار الفكر اللبناني - بيروت ١٩٩٣.

٤ - معجم عين الفعل - (بالاشتراك مع د. جوزيف الياس)، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٤.

٥ - المنار (معجم مدرسي للمرحلة الإعداديّة/المتوسّطة، بالاشتراك مع د. جوزيف الياس) - مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ودار الرمال قبرص - ٢٠٠٥.

٦ - معجم الأصوات - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٦.

٧ - معجم رفيق التلميذ (لمرحلة التعليم الابتدائي) - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٩.

٨ - المبين (موسوعة في أدوات النّحو وشوارده) - دار النّمير - دمشق ٢٠٠٩.

٩ - الكافي في الصرف والنّحو والإعراب (بالاشتراك مع د. جوزيف الياس) - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٨.

١٠ - الوجيز في الصرف والنحو والإعراب (بالاشتراك مع د. جوزيف الياس) - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٩.

١١ - أكثر من ستّين غلافًا في الرواية والشعر والقصّة (للأطفال والناشئة) عن دور نشر في بيروت ودمشق وحمص.

الفهرس

المُؤلِّف

- جرجس نسيم ناصيف - الكيمة - حمص - سوريّة.
- خِرّيج جامعة دمشق في كلّيّة الآداب قسم اللُّغة العربيّة وآدابها عام ١٩٦٤، والأوّل على دُفعته.
- مارَس التَّعليم في المدارس الابتدائيّة، وفي دار المعلّمين وثانويّات حمص ودمشق لسنين كثيرة.
- تَقاعَد وتَفرَّغ للكتابة، وهو عضو في اتّحاد الكُتّاب العرب جَمعيَّة أدب الأطفال.
- شارك في تَأليف الكُتب المَدرسيّة في لبنان، مادّة اللُّغة العربيّة وآدابها.
- ظَهَرَ له مُؤلَّفات كثيرة عن دور نَشْر في سوريّة ولبنان منها:

١ - أكثر من سبعين مَجموعة قَصصيَّة ورواية للأطفال الصِّغار والكِبار عن دور نَشْر في بيروت وحمص.

٢ - أغاني البراعم (شِعْر للأطفال) عن اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

٣ - أبو القاسم الشّابّي في شِعْره عن دار الفكر اللُّبنانيّ، بيروت.

٤ - عَيْن الفعل (مُعجَم لغويّ) عن دار العلم للملايين، بيروت، بالاشتراك مع د. جوزيف الياس.

٥ - الكافي في الصَّرف والنَّحو والإعراب عن دار العلم للملايين، بيروت، بالاشتراك مع د. جوزيف الياس.

٦ - الوجيز في الصَّرف والنَّحو والإعراب عن دار العلم للملايين، بيروت، بالاشتراك مع د. جوزيف الياس.

٧ - المنار (مُعجَم لُغويّ لتلامذة المرحلة الإعداديَّة المتوسِّطة) عن مكتبة لبنان ناشرون، ودار الرِّمال، بيروت وقبرص، بالاشتراك مع د. جوزيف الياس.

٨ - مُعجَم الأصوات عن مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٩ - المُعجَم المُبين (موسوعة في أدوات النَّحو وشوارده) دار النَّمير، دمشق.

SIN LIKI UNNI

THE EPIC OF GILGAMESH

Composition, Restoration & Commentary by
GERGES NASSIF

978-9953-86-676-5
9 789953 866765



Librairie du Liban *Publishers*